مُقَدِّمَة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله؛ سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وصحبه وبعد؛؛

لا غرو أن الحضارة الإسلامية واحدة من أعظم الحضارات التي عرفتها البشرية، ذلك أنها مرتبطة بحبل متين، ووثاق غير منفصم، وسبب متصل بالسماء، باق ما دامت السماوات والأرض، ومن جمال تلك الحضارة وتفردها، وتميزها عن غيرها، أنها جمعت بين الدنيا والدين، ورتبت أمور الحياة، وما بعد الممات!!

ومن جمالياتها وتميزها وتفردها، أنها نظمت العلاقات، ما بين حاكم ومحكوم، وحكام ومحكومين، وبينت أن لكل منا مقام معلوم، وأن كل فردا من أفرادها أشبه بالترس يدور في فلك، وفي آلة معينة، له دور منوط به، ومهام مكلف به، وأمانة مستخلف فيها، إما أن يؤديها حق تأديتها، أو أن يقصر أو يضيع، فيعاقب في دنياه وأخراه.

ومن بين الوظائف والمهام والرتب، التي عنيت بها الحضارة الإسلامية، خصوصا الحضارة المملوكية، وظيفة " الكشاف" أو الكشوفية وإن شئت فقل الكشفية.

وهي إحدى الوظائف المستحدثة في العصر المملوكي، دعت إليها الحاجة، وباتت من مقتضيات العصر المملوكي ولوازمه.

ذلك أن الاقتصاد المملوكي جله أو معظمه اقتصاد يقوم في الأساس على الزراعة، وعلى استغلال وادي النيل، ومنطقة الدلتا، ومن ثم فكان لزاما على سلاطين المماليك، ابتكار وظائف من شأنها الإشراف والمراقبة، والقيام على أمر المشروعات الزراعية، ومباشرة الإقطاعات والضياع، والولايات الخصيبة مثل: الوجه البحري وما يشتمل عليه من ضياع وولايات، مثل كشوفية الغربية، والبحيرة، والمحلة، والمنوفية والقليوبية، ومنها: ما هو موجود في الصعيد مثل: الجيزة، والبهنسا، والفيوم، ومنفلوط، وغيرها من المدن !

بل عمدوا لعمل كشوفيات ووظائف خاصة بمتابعة الجسور والسدود والقناطر، والمنشآت المائية كما أشرت لذلك في بحث أخر بعنوان " المنشآت المائية في العصر المملوكي "

ولعل الذى دفعني لاختيار هذا الموضوع عدة أمور منها:

١- كثرة القراءة في المصادر التاريخية حول حقبة المماليك، وما بتلك الحقبة، من وظائف ورتب والقاب، وتنظيمات إدارية، تستدعي الوقوف عندها، والتعمق فيها.

٢- ندرة الأبحاث التي تعرضت لتلك الوظيفة على ما بها من أهمية

٣- تعد وظيفة الكشوفية أحد أهم الوظائف، في تلك الحقبة وذلك لسببين

أ- أنها بمثابة همزة الوصل، وعامل الربط والصلة بين الحكام والمحكومين، من خلال نقل متطلبات ومشكلات الرعية للحاكم عبر الكاشف أو من ينوب عنه

ب–إن الكاشف بمثابة سلطان في ولايته؛ أو في الإقليم المكلف بحكمه وإدارته.

٤– وظيفة الكشاف تكشف لنا عن قضايا محورية وجوهرية في المجتمع المملوكي، حيث تكشف اللثام، عن توجه الدولة وسياستها في حقبة معينه، تبين مدى قوة الدولة وضعفها، تكشف عن شخصيات بعض السلاطين والأمراء، كما أنها تبرز جانبا مهما من جوانب الحياة الاجتماعية فيما يتعلق بثورات العربان، وتعامل الكشاف معها، وكذا ما يتعلق بمعاقبة الكشاف أنفسهم عند مخالفتهم لمراسيم ومناشير وقوانين السلطنة.

أما عن الدراسات السابقة فهناك بعض الدارسات التي أشرت في ثناياها لتلك الوظيفة منها:

١– الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والأثار للعلامة الدكتور حسن الباشا رحمه الله، وهو من الكتب النافعة الماتعة طبعة ١٩٨٩م.

٢– قاموس المصطلحات الإسلامية في الحضارة الإسلامية للدكتور محمد عمارة

٣– التنظيمات الإدارية في عصر المماليك في مصر – محمد مصبح، رسالة ماجستير ١٤٤١ هـ ٢٠٢٠م بكلية دار العلوم جامعة المنيا.

٤– الوظائف الرئيسية والألقاب في العصر الإسلامي، رسالة ماجستير لشيماء محمد جمعه عبد العال، ١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩م، بكلية دار العلوم جامعة المنيا.

٥– الفنون الإسلامية والوظائف على الأثار العربية، للدكتور حسن الباشا رحمه الله

بيد أن تلك الدراسات لم تركز على رتبة الكشوفية ومهام تلك الوظيفة، بل مرت بها مرور الكرام، وعليه، رأيت أنه من المناسب عمل دراسة مستقلة عن الكشوفية والكشاف.

أما عن المنهج الذى اتبعته في الدراسة فهو منهج مختلط، جمع بين المنهج الوصفي والتحليلي والإحصائي بحسب ما تقتضيه الدراسة.

تمهيد

الكشوفية لغة واصطلاحا

الكشف في اللغة، رفعك الشيء عما يواريه وكشف الأمر يكشفه أي أظهره، [١] والكشف إظهار المستور، وكشف على؛ أي فتش وراقب، ومنها: الكاشف تعني المفتش والمراقب، ونقب، وكاشف على أي ناظر على أو رئيس، أو قيم، والكشاف هو المراجع أو المحقق والمدقق، والخبير ومفتش البضائع في الجمارك وغيرها. [٢]

وعليه فإن مصطلح الكاشف يُعنى به : الرئيس أو الأمير المكلف برقابة أمر من الأمور الموكلة إليه، ويعاونه فيها مجموعة من المرؤوسين.

والحق إن بلوغ هذا المنصب ذروته كان في عصر دولة المماليك، وعليه تعتبر الكشوفية من المناصب والرتب المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالبلاط المملوكي.

ولكن هذا لا يمنع أن لفظ الكشوفية سبق مجيء المماليك، فقد أورد ابن واصل أن أول من بنى دارًا للكشف الأمير نور الدين محمود(٥٤١ –٥٦٩ هـ/ ١١٤٦– ١١٧٤م) [٣] وسماها دار العدل وجلس فيها نور الدين بنفسه للفصل بين المتخاصمين وفض المنازعات، ورد الأرض المغتصبة وإلى ما غير ذلك. [٤]

ويتضح من النص السابق أن الكشوفية المقصود بها هنا القضاء، أو مرادف من مرادفاته، لا بالمعنى المراد أو المنوط به الكشاف في العصر المملوكي.

---

[١] أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م]: المحكم والمحيط الأعظم، المحقق: عبد الحميد هنداوي ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م، ٦٩٠/٦.

[٢] رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفى: ١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م): تكملة المعاجم العربية، ترجمة وتعليق، محمد سليم النعيمي، جمال الخياط، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى، ١٩٧٩م، ٩٥/٩، مادة كشف.

[٣]) الملك العادل، (٥٤١ –٥٦٩ هـ/ ١١٤٦– ١١٧٤م) الابن الثاني لعماد الدين زنكي ملك حلب من بعد أبيه، وتوسع في إمارته، ضم العديد من المناطق الشامية لدولته، وكان السبب الرئيس في إرسال صلاح الدين الأيوبي لمصر وزوال الدولة الفاطمية، تصدي للصليبين، وانتصر عليهم، كما عمل على نشر المذهب السني في ربوع مصر والشام، توفاه الله في سنة ٥٦٩ هـ ١١٧٤م. للمزيد يرجى مطالعة: أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية ، ط١،جـ٣/٥٥. اليافعي: مرآة الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م. جـ ٢٩١/٣.

[٤] محمَّد بن سالم بن نصرالله بن سالم ابن واصل، أبو عبد الله المازني التميمي الحموي، جمال الدين (المتوفى: ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق د جمال الدين الشيال، وأخرون، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية – المطبعة الأميرية، القاهرة – جمهورية مصر العربية، عام النشر: ١٣٧٧ هـ – ١٩٥٧ م، ٢٦٩/١.

وتبقى هنا إشكالية أخرى ألا وهي عملية الألقاب والرتب والمناصب التي كانت تعادل لقب الكاشف قبل ظهور هذا اللقب بهذا الشكل في العصر المملوكي.

الكشوفية كما سيتضح لها مهام معينة، ومتعددة وشروط خاصه ذكرها القلقشندي، سنتعرض لها بالتفصيل، ومن بين المهام القيام بأمر الأقاليم والكشفيات وضبط الأمن، ومقاومة الخارجين، وقمع المفسدين والعناية بالمشاريع الزراعية والمائية والنيابة عن السلطنة في تلك الكشوفية.

والحق أن هذا الأمر لم يكن مبتكرًا أو جديدًا فهو قديم قدم الحضارة الإسلامية، ولكن الجديد فيه كما سنرى هي تعدد المهام، وضبطها وتقنينها أكثر مما مضى. [١]

ومن المهن التي كانت تعادل مهنة الكاشف أو تقاربها :

١ الِشحنة

في اللغة شحن الرجل السفينة أي ملأها، وفي التنزيل: "فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ" [٢] والشِحنة بكسر الشين، اسم للرَّابطة من الخيل في البلد من أولياء السلطان، لضبط أهله [٣] والشِحَنكية منصب، يعني الحاكم، أو حاكم المدينة [٤] وعليه فالشِحنه هم من أقامه السلطان لضبط البلاد، والقيام على أمرها.

---

[١] ولعل الدكتور حسن الباشا رحمه الله جانبه الصواب عندما زعم أن بعض المصادر نصت على " أنه لما ملك صلاح الدين مصر كان الكاشف بها بهاء الدين قراقوش، وربما كان المقصود بذلك كاشف المظالم، ولو أنه ليس من المستبعد، أن يكون المقصود بالكاشف هنا الوالي" أ . هـ . قلت وبمراجعة تلك المصادر وجدت أن النص كالآتي: أن قراقوش لما أستولى علي قصور الفواطم وخزائن أموالهم وفرق بين الرجال والنساء، وظل الحصر مدة عشر سنوات !! وكان من جملة ما وجده " مائة صندوق كسوة فاخرة من موشى، ومرصع، وعقود ثمينة، وذخائر فخمة، وجواهر نفيسة، وغير ذلك من ذخائر عظيمة الخطر، وكان الكاشف بهاء الدين قراقوش" أي المفتش ورئيس اللجنة المسئولة عن الحصر، هو الوزير بهاء الدين قراقوش، وهذا أمر طبيعي لأنه وزير الناصر صلاح الدين وأمين سره!! ولا يعني هذا كما فهم أستاذنا أن بهاء الدين قراقوش تولى منصب الكشوفية أو أن هذا المنصب كان موجودا من الأساس. للمزيد راجع أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م): الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ ، ٢٩٩/٢. علي بن منجب بن سليمان، الشهير بابن الصيرفي، قانون الرسائل، تعليق علي بهجت، مطبعة الواعظ، ط١، ١٩٠٥م، صـ ١٥٨. حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة العربية، ١٩٦٦م، جـ٢ /٩٢٧.

[٢] الشعراء آية ٢٦

[٣] جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧ هـ/١٢٠١م): تقويم اللسان، المحقق: د. عبد العزيز مطر، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٦ م، الناشر: دار المعارف، صـ ١٢٥، باب الشين

[٤] رينهارت: تكملة المعاجم العربية، ٢٧٠/٦

وقد ورد هذا المصطلح في بعض المصادر التاريخية والجغرافية منها مثلا:
ما ذكره ابن الجوزي من تولي البرسقي [١] شحنة العراق[٢] كذلك ترجمته لشحنة مدينة الري[٣] ويعرف بعباس والذى قتل غدراً [٤] وفي سنة ٥٣٢ هـ/١١٣٢م تولى مجاهد الدين بهروز[٥] منصب شحنة بغداد بدلا من ابن البقش [٦] الذى قتل بسبب ظلمه وتعسفه وشيوع فساده [٧] كما ذكرت المصادر شحنة البصرة، وشحنة الموصل، وشحنة الري، وغيرهم، مما يعنى أن هذا المنصب كان يعادل منصب الكشوفية.
ليس هذا فحسب بل كان هناك كذلك ما يعرف بشحنة العمارة، ولعله منصب يقارب شاد

---

(١) سيف الدين اق سنقر البرسقي، الشهيد، قتل غدرا في الموصل وهو يصلى علي يد الباطنية في سنة ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م، وكان رحمه الله عادلا شجاعا، مهيبا، كثير التدين محبا للعلم وأهله مكرما لأهل القرآن.، ملك الموصل وحلب وغيرهما، وجاهد في سبيل الله ضد الفرنجه رحمه الله وتقبله في الشهداء والصالحين . للمزيد راجع ابن القلانسي: تاريخ دمشق، المحقق : سهيل زكار، تاريخ دمشق، الناشر : دار حسان للطباعة والنشر ، لصاحبها عبد الهادي حرصوني – دمشق، ط ١، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م جـ١/ ٣٤١. ابن العديم: تاريخ حلب، المحقق: سهيل زكار، الناشر: دار الفكر بيروت، جـ ١٩٦٩/٤. ابن خلكان: وفيات الأعيان، دار صادر بيروت، جـ ٢٤٢/١.

(٢) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، المحقق: محمد عبد القادر عطا، وآخرون ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م، ٩٢/١٧

(٣) من المدن القديمة، كانت خليطا من الفرس والعرب والترك، وقد عرفت في العصر العباسي، باسم المهدية، نسبة للمهدي الذى نزلها في خلافة المنصور، وبها ولد هارون الرشيد، افتتحها قرظة بن كعب الأنصاري، في خلافة عمر بن الخطاب، سنة أربع وعشرين (٢٤هـ/ ٦٤٥م) تمتاز بجودة التربة، وكثرة الأنهار والعيون والزروع والثمار، وهي الآن إحدى المدن الواقعة جنوب شرق طهران عاصمة إيران. ابن المنجم: آكام المرجان، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ، صـ٦٧. ياقوت: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م ، جـ١١٧/٣.

(٤) المنتظم ٥٢/١٨

(٥) أحد كبار الأمراء، في العراق، مجاهد الدين بهروز بن عبد الله الغياثى الرومي ، تولى شحنة بالعراق من جهة السلطان مسعود السلجوقى (٥٢٦-٥٤٧هـ/ ١١٣٢-١١٥٢م). وكان صاحب همة في عمارة البلاد، واسع الصدر والصبر في البذل والانفاقات والمطاولة والمراجعة إذا امتنع عليه الغرض، وبنى في بغداد رباطا وقف عليه وقفا جيدا توفى سنة ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م، . ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، جـ ١٣٩/٩. ابن الوردي: التاريخ، : دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م ، جـ ١٩/٢. ٤٥/٢.

(٦) أحد من تولوا منصب حاكم بغداد، اتسم بالظلم والتعسف، مات مقتولا في سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٨م. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ ٩٨/٩.

(٧) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٩٨/٩

العمائر في العصر المملوكي،[١] وكما أن هناك كاشف الكشاف كان هناك ما يعرف بشحنة الشحنة [٢]

٢- العامل:

العمل معروف، والعامل في اللغة هو من يتولى أمور الرجل في ماله وعمله [٣] والعمال يعني المندوب والوكيل والمنتدب [٤] والعامل هو الموظف المعين من قبل الحاكم أو الخليفة على بلد أو صقع أو قطر من الأقطار، وهو أحد أقدم الأساليب المتبعة في تعيين الولاة وحكام الأقاليم من قبل الخليفة أو الحاكم.

ولعل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أول من سن تلك السنة، حيث أرسل العمال لضبط أمور الولايات والأقاليم، يأتمرون بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، وصار هذا عرفا وتقليدا متبعا طوال سني الحكم الإسلامي وسار على هذا النهج الصحابة الكرام رضوان الله عليهم.

فمن عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا العلاء بن الحضرمي وكان عاملا على البحرين [٥]

وهناك العديد من الألفاظ والألقاب والرتب لكن تبقى مهنة الكشوفية من المهن والرتب والوظائف المرتبطة بالعصر المملوكي، وأحد أهم سمات هذا العصر.

---

[١] انظر محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، ابن بطوطة (المتوفى: ٧٧٩هـ/١٣٧٧م): رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، الناشر: أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، عام النشر: ١٤١٧ هـ جـ ١٤٣/٣

[٢] عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (المتوفى: ٩٢٧هـ/١٥٢١م): الدارس في تاريخ المدارس، المحقق: إبراهيم شمس الدين ، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م،١٣٨/٢.

[٣] جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (المتوفى: ٩٨٦هـ/١٥٧٨م): مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثالثة، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م، ٦٧٧/٣.

[٤] رينهارت: تكملة المعاجم العربية، ٣١٥/٧.

[٥] ابن الجوزي: المنتظم، جـ٢٤٢/٤

الفرق بين الكشوفية والنيابة والولاية [١]

ثمة أمر مهم ألا وهو التفرقة بين الكشوفية والنيابة والولاية، وهم على هذا الترتيب وهذا النحو النائب ثم الكاشف ثم الوالي.

أما النائب:

في اللغة تقول ناب عني أو ناب عن فلان إذا قام مقامه [٢] والنائب هو من يقوم مقام السلطنة في امر من الأمور، فهو سلطان مختصر، له مطلق التصرف في أمر الجيش، والمؤسسات العسكرية والمدنية التي تقع في نيابته عوضا عن السلطان [٣] وعلى رأس تلك النيابة ما يعرف بالنائب الكافل، وهو الرأس الثاني في السلطنة، وإليه تفويض الأمور كلها كأنه سلطان، وعادة ما ينصب سلطانا بعد فراغ كرسي السلطنة من الحاكم بموت أو قتل، أو حتى خروج لصيد أو حج حكم في كل ما يحكم فيه السلطان "ويعلّم في التقاليد والتواقيع والمناشير، وغير ذلك مما هو من هذا النوع على كل ما يعلّم عليه السلطان؛ وسائر النوّاب لا يعلم الرجل منهم إلا على ما يتعلّق بخاصة نيابته" [٤]، وله مكان معلوم في قلعة الجبل يحكم منه ويباشر مهام وظيفته من خلاله، تعرف بدار النيابة[٥] ولعله أشبه بالصدر الأعظم الأعظم في الدولة العثمانية وبمنصب رئيس الوزراء أو نائب الرئيس في عصرنا المعاصر.

---

[١]) ينبغي التنبيه على أن ثمة رابط بين تلك المناصب، الا وهو كونها تتعلق بحكم الأقاليم، مع اختلاف المسميات في المصادر التاريخية، فربما ذكر مصدرا بأن فلان كاشف الشرقية مثلا ويذكره مصدر أخر على أنه نائب أو والي.

[٢]) الهروي: تهذيب اللغة، ، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، جـ١٥/٣٥٠.

[٣]) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠١م، جـ٣/٤٥٣

[٤]) القلقشندي أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية بيروت ،جـ٤/١٧.

[٥]) تحدث المقريزي عن تلك الدار فقال: بناها الملك المنصور قلاون في سنة سبع وثمانين وستمائة، (٦٨٧ هـ/ ١٢٨٨م) سكنها الأمير حسام الدين طرنطاي، ومن بعده من نوّاب السلطنة، وكانت النوّاب تجلس بشباكها حتى هدمها الملك الناصر محمد بن قلاون في سنة سبع وثلاثين وسبعمائة (٧٣٧ هـ / ١٣٣٦م)، وأبطل النيابة وأبطل الوزارة أيضا، فصار موضع دار النيابة ساحة، فلما مات الملك الناصر أعاد الأمير قوصون دار النيابة عند استقراره في نيابة السلطنة، فلم تكمل حتى قبض عليه، فولي نيابة السلطنة الأمير طشتمر حمص أخضر وقبض عليه، فتولى بعد نيابة السلطنة الأمير شمس الدين آق سنقر في أيام الملك الصالح إسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاون، فجلس بها في يوم السبت أوّل صفر سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة (٧٤٣ هـ /١٣٤٢م) في شباك دار النيابة، وهو أوّل من جلس بها من النوّاب بعد تجديدها، وتوارثها النوّاب بعده .... للمزيد الخطط، جـ٣/٣٧٤.

وهناك كذلك نائب الغيبة وهو الذى ينوب عن السلطان حال غيابه، وهو القائم مقام نائب الشام حال غيابه لأمر من الأمور [١] ونائب الغيبة بخلاف النائب الكافل والذى يعرف بنائب الحضرة لوجوده في حضرة السلطان، وهناك كذلك النواب في الأقاليم الكبرى.

وكانت النيابات مقسمة على هذا النحو:

نائب السلطنة أو النائب الكافل وقد مر الحديث عنه، ونائب الغيبة كذلك، وهناك نواب الأقاليم مثل: نائب الشام وهو النائب أو الرئيس والحاكم للجناح الثاني للسلطنة.

ومقرها دمشق العاصمة، وشرطها أميرها أن يكون من مقدمي الألوف[٢]، ويعاونه عدد من الأمراء الطبلخانات [٣] وبعض الأمراء العشراوات[٤] وأجناد الحلقة [٥] ونائب دمشق أعظم نواب الشام في الرتبة والمنزلة، ويعبر عنه في المكاتبات الرسمية «بكافل السلطنة الشريفة بالشام المحروس» ويقوم مقام السلطان في بلاد الشام، ويعبر عنه كذلك بنائب السلطنة المعظمة بالشام المحروس [٦]

وهناك نائب الرحبة ونائب حمص ونائب حلب وبعلبك وكشوفية الرملة، والذى يصح عندي أن تلك النيابات تعني الكشوفيات في مصر بدليل، أن عبارة " يقبل الباسطة" من العبارات التي كانت تكتب في مخاطبات ومكاتبات نائب القدس ونائب الرحبة، وكاشف الوجه البحري، وكاشف الفيوم [٧]

ولدينا في مصر من النواب نائب الوجه البحري، ونائب الوجه القبلي؛ ونائب الإسكندرية.

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ١٨/٤. رينهارت: تكملة المعاجم، ٤٤٧/٧.

(٢) أحد أهم المناصب في الجيش المملوكي، وهو الذى يلى أتابك العسكر مباشرة، يخدمه مائة مملوك، ويترأس فرقة بها ألف جندي، ولذا عرف بأمير مائة مقدم ألف، وكانت له مراسم في الاحتفاء به، من دق الطبول، بجانب الإقطاعات والخلع والمراسيم، والمناصب والألقاب، فربما شغل منصب نائب السلطنة أو اتابك العسكر أو أمير السلاحدارية وهكذا. للمزيد النويري: نهاية الأرب،جـ٢٠٤/٨. جـ ٣٧١/٣٠. ٣١/ ٢٦٨.محمد أحمد الدهمان : معجم الألفاظ التاريخية، دار الفكر بيروت، صـ ٢٠.

(٣) الطبلخانة كلمة مكونة من مقطعين الطبل، وهو معروف، وخانة كلمة تركية تعني البيت، والمعني بيت الطبل، والمراد بها، الموسيقى العسكرية، ويكون في إمرته من أربعين وحتى سبعين أميرا، وعادة ما يكون صاحبها من الكشاف والنواب وغيرهم . ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، جـ ٤٢٩/٣. القلقشندي: صبح الأعشى، جـ ٧/٤.

(٤) أي تحت إمرته عشرة جنود ويسمى أو نباشي وأدنى بمعنى عشرة وباشي بمعنى رئيس، وكان يتولى المناصب الصغرى كحجاب النواب مثلا. ابن فضل الله: مسالك الأبصار، جـ ٢٠٧/٣. القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٦٤/٤.

(٥) جنود من أجناد الجيش المملوكي لكل أربعين منهم مقدما عليهم. القلقشندي: صبح الأعشى ١٦/٤.

(٦) العباسي : نزهة المالك والمملوك، المحقق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، صـ ٢٠٥.

(٧) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٢٣٥/٨.

أما نائب الإسكندرية فهو من الأمراء المقدمين، له دار مخصوصة، مهمته الأولى حماية الثغر، له مجموعة من الأمراء تعاونه، وتلك النيابة من النيابات المستحدثة في عصر الأشرف شعبان (٧٦٤-٧٧٨هـ/ ١٣٦٣-١٣٧٦م)، سنة ٧٦٧ هـ /١٣٦٦م ، وكان الداعي لها حماية هذا الثغر العظيم من غارات الفرنجة وحملات الصليبيين[١] وإن كانت وظيفة حماية ثغر الإسكندرية من الوظائف القديمة قدم الدولة المصرية لأهمية هذا الصقع، واعتباره العاصمة الثانية لمصر المحروسة. وقد ورد في ترجمة الأمير ركن الدين بيبرس [٢] أنه شغل منصب كاشف البحيرة ووالي ثغر الإسكندرية [٣] مما يعنى أن الإسكندرية قبل الأشرف شعبان كانت تتبع كشوفية البحيرة.

النيابة الثانية: وهي نيابة الوجه القبلي، وهي من الرتب والوظائف المستحدثة في عصر الظاهر برقوق (٨٠١هـ/ ١٣٩٩م.) وكانت تعرف من قبل بكاشف الوجه القبلي، ومقر دار النيابة بمدينة أسيوط، ومهمته الأساسية ضبط الأمور، وقمع ثورات المتمردين في الصعيد، وحماية الحدود الجنوبية لمصر، وضبط أمر الاقتصاد والزراعة والجسور، مع كشاف الجسور والتراب، وبعض الأمراء المؤكل إليهم مهام محددة، أي أن النائب يكون على رأس الجهاز الإداري لإقليم الصعيد كله. [٤]

نيابة الوجه البحري: وهي النيابة الثالثة، ومقرها دمنهور، استحدثت في عصر الظاهر برقوق، وكان يعبر عن صاحبها قبل ذلك بكاشف الوجه البحري [٥]، ومقر دار نيابته بدمنهور، له مطلق التصرف على الإقليم، وتنفيذ أوامر السلطان، وله هيئة تعاونه من

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ٢٥/٤

(٢) بيبرس الركنيّ، المظفّريّ، الأمير ركن الدين الجمدار (المسؤول عن ملابس السلطان)، أصله من مماليك الأمير بكتمر السلاحدار ت (٧٠٣هـ/١٣٠٣م)، ثمّ صار إلى الأمير بيبرس الجاشنكير(٧٠٩-١٣٠٩) قبل أن يتسلطن. فلمّا زالت أيّام المظفّر بيبرس وعاد الناصر محمد إلى ملكه وثار عليه ابن أخيه موسى ابن الصالح عليّ بن قلاوون، كان بيبرس هذا ممّن وافقه. فنمّ به إلى السلطان فعرف له ذلك ،وما زال ينتقل في الخدم حتى أنعم عليه بإمرة، ثمّ ولي كشف البحيرة. ثم ولي الإسكندريّة ، وحصّل بها مالا جزيلا. ت ٧٤٠ هـ / ١٣٤١م .المقريزي: المقفى الكبير، المحقق: محمد اليعلاوي، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، ٣٠٤/٢.

(٣) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، جـ ٢٩١/٣.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ٢٥/٤

(٥) انظر عن كاشف الوجه البحري والقبلي مثلا: المقريزي: الخطط، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ، جـ٣/ ٣٧٩.

الأمراء والنظار والمدراء، يترأسهم جميعا [١]

والذى يتضح أن لقب كاشف أقدم من لقب نائب في الدولة المملوكية، وكان يعبر عنه بكاشف الكشاف، ولما أُستحدث منصب النيابة في الوجه البحري والوجه القبلي، صار النائب وهو من الأمراء المقدمين أو الطبلخانات، هو السيد والرئيس، على الوجه كله، يعاونه عدد من الكشاف، على سبيل المثال : كاشف الشرقية وكاشف الغربية وكاشف المحلة، وكاشف البهنساوية [٢]، وكاشف الجيزة، وهكذا كما سيتضح بالتفصيل فيما بعد، مما يعنى أن منصب النائب أعلى رتبة ودرجة من الكشوفية في عصر دولة المماليك البرجية.!

وخلاصة القول: إن الكشوفية ما هى إلا امتداد، للنظم الإدارية والسياسية الموجودة قبل اختراع هذا المنصب، مثل الولاية والشحنكية، وأن الكشفية يراد بها، ضبط أحوال الإقاليم ومتابعة العمال فيه، كما أن مصر كانت مقسمة عصر سلاطين المماليك إلى ثلاثة نيابات، الإسكندرية، والوجه البحري، والصعيد، أحيانا يعبر، عنه بالنائب، أو كاشف الكشاف!

---

[١]) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٤/ ٢٥.

[٢]) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٤/٦٦.

المبحث الأول: الكشوفية ومدلولها الوظيفي

المطلب الأول: معني الكشفية

الكشفية أو الكشوفية هي الطبقة الثانية في سلم التنظيم الإداري لحكم الأقاليم، في عصر دولة المماليك، وتقدم أن مهمة الكاشف تشبه مهام المحافظ الآن، حيث تحدد له مهام يكلف بها، على رأسها ضبط الأمن في الكشوفية، وقمع الثورات والفتن، والقيام بالأمور الاقتصادية، مع كاشف التراب أو كاشف الجسور، ومتابعة عمل النظار، والمدراء والخوله، فهو نائب السلطنة في تلك الكشوفية وله مطلق التصرف فيها بحسب الفرمانات والقوانين المعمول بها في السلطنة. [١]

والكشاف على أنواع ورتب ودرجات.

منهم كشاف الجسور والتراب [٢] وهناك كاشف الكشاف كما مر، ويشترط فيه غالبا أن يكون مقدم ألف [٣] وربما كان من أمراء الطبلخانات لكن الغالب أن يكون مقدم ألف.

وقد ورد لفظ كاشف الكشاف في العديد من المصادر منها:

ما ذكره المقريزي[٤] عن حوادث سنة ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م، حيث أشار إلى بداية تلك السنة وقد استهلت والخليفة المستعين بالله أبو الفضل العباس بن محمد المتوكل على الله أبي عبد الله محمد(٧٢٥-٨١٥هـ/ ١٣٩٠-١٤٣٠م) والسلطان الملك الناصر أبو السعادات فرج بن الظاهر أبي سعيد برقوق (٨٠١-٨١٥هـ/ ١٣٩٩- ١٤١٢م) وهو مستقل بتدبير الأمور ومعتمد على وزيره الأمير الوزير المشير ناظر الخواص [٥] وكاشف الكشاف جمال الدين يوسف بن أحمد الأستادار البجاسي البيري [٦] ومن الذين تولوا منصب كاشف الكشوفية، في

---

[١] القلقشندي صبح الأعشى، جـ٤/٦٦.

[٢] أنظر القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٣/٥١٥. وبحثي عن المنشآت المائية في العصر المملوكي.

[٣] القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٤/٢٠٧.

[٤] السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٦/ ٢٢٥.

[٥] مهمته تدبير الأمور العامة وتعيين المباشرين. القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٤/ ٢٨.

[٦] ولد سنة (٧٥٢هـ/ ١٣٥١م)، أصله من الشام كان أبوه خطيبا بالبيرة، ثم تزوج من اخت الأمير سحلول، وزير حلب، ثم أنجب أحمد ولقبه بجمال الدين، وكنيته أبو المحاسن، نشأ بالبيرة، ثم قدم الشام، فقيرا لا يملك من حطام الدنيا شئيا، فتزي بزي الجند، وخدم عند بعض كشاف الشام، ولازمه الفقر والخمول حتى قدم مصر بعد سنة ٧٧٠ هـ/ ١٣٦٨م، وخدم عند الأمير سيف الدين بجاس النوروزي ت (٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م) فنال السعادة والحظوة، ونسب إليه جمال الدين، وتزوج من ابنه استاذه فنال الشرف، وباشر الأستادراية عند جماعة من الأمراء، حتى صار استادار السلطنة، كما شغل العديد من المناصب الكشفية، ككشوفية الوجه البحري، ونظر الخاص، وكان له من الأموال والكنوز ما لا يحصى، اشتهر بالبطش والعنف وسوء السيرة بين الرعية، وكان سفاكا للدماء، مات بعد معاقبته بالحبس والمصادرة والضرب في

الوجه البحري فخر الدين بن أبي الفرج والذى قمع ثورات العربان الثائرين بالبحيرة في سنة ٨١٩هـ/ ١٤١٦م [١] كذلك من بين أشهر الأمراء الذين تولوا هذا المنصب، الأمير يشبك من مهدي [٢]

وهناك كذلك كاشف الإقليم، ككاشف الرملة والقدس والجيزية والفيوم وغيرها، وكانت تتم مخاطبته على هذا النحو: " ضاعف الله تعالى نعمة الجناب العالي"[٣] وكذلك "عبارة يقبل الباسطة" [٤] وكانت في الغالب لمخاطبة كاشف الوجه البحري، وكاشف الفيوم وعبارة " صدرت – والعالي" [٥] وكلها عبارات تفخيم وتعظيم تدل على سمو تلك الرتبة ورفعة تلك الدرجة.

وقد فصل المقريزي [٦] القول عن تلك الكشوفيات في خضم حديثه عن دولة الناصر محمد بن قلاوون (٧٤١هـ ١٣٤١م) فقال:" والذى استقر عليه الحال إقطاعات[٧] الديار المصرية، مما رتبه الملك الناصر محمد في الروك الناصري[٨] وهو عدة الجيوش المنصورة بالديار المصرية، أربعة وعشرون ألف فارس، تفصيله كالآتي:

١- أمراء الألوف: وما يتبعهم من مماليك وعدتهم الفان وأربعمائة وعشرون فارس (٢٤٢٠

سنة ٨١٢ هـ/ ١٤٠٩م، ومن أثاره التي لا تزال باقيه مسجده الجامع بشارع التمبكشية بالجمالية والذى بناه في سنة ٨١٠ هـ / ١٤٠٧م، ويحمل رقم أثر ٣٥. للمزيد ابن حجر إنباء الغمر، المحقق: حسن حبشي، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، عام النشر:١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.، جـ ٤٤٥/٢. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تعليق محمد رمزي، طبعة دار الكتب المصرية، ط١، جـ ٩٥/١٣.

[١]) المقريزي السلوك، جـ٤٠٩/٦.

[٢]) المقريزي: السلوك،

[٣]) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٨/ ٢٣٤،

[٤]) عبارة تفخيم وتعظيم بسط القلقشندي الحديث عنها، والمراد بها تقبيل الأرض بين يدي السلطان، والباسطه أي الأعتاب السلطانية، وقد أطلق الجزء واراد الكل، ودلالة تلك العبارة، خضوع الأمير خضوعا تاما للسلطان!

[٥]) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ ٢٣٥/٨.

[٦]) الخطط، جـ٣/ ٣٧٩.

[٧]) اقطاع، والجمع اقطاعات: قطيعة، وأرض يخصصها ملك أو أمير لغير البكر من ولده، والاقطاعات هي الأرض التي يسمها السلطان على أمرائه، في الأقاليم وغيرها، وقد وردت في المصادر التاريخية في مناسبات عدة، مما يتعلق باقطاع الأمراء والجنود وغيرهما .ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، جـ٤٣٠/٣. رينهارت: تكملة المعاجم العربية، جـ ٣٢٣/٨.

[٨] هو إعادة مسح الأرض ومعرفة مقدارها، وأنواعها، من خلال عملية مسح شاملة أجراها الناصر محمد في سنة ٧١٦ هـ / ١٣١٦م. القلقشندي، صبح الأعشى، جـ ٥٠١/٣.

فارس) مفصلة على هذا النحو: نائب (يعني نائب السلطان بالديار المصرية أو النائب الكافل أو الحاضر) ووزير، وألوف خاصكية [١]، ثمانية أمراء (٨) وألوف خرجية [٢] أربعة عشر أميرا (١٤) وما يتبعهم من مماليك الفان وأربعمائة فارس (٢٤٠٠)

٢- الكشاف والولاة بالأقاليم: وعددهم خمسمائة وأربعة وسبعون كاشفا ووواليا (٥٧٤) على هذا النحو:

ثغر الإسكندرية لها كاشف، والبحيرة ولها كاشف، الغربية لها كاشف، ثم الشرقية، والمنوفية، وقطيا [٣] والجيزة، والفيوم ، والبهنسا[٤] ، والأشمونين[٥]، وقوص ، واسوان ، وكاشف الوجه الوجه البحريّ ، وكاشف الوجه القبليّ. ومماليكهم خمسمائة وستون.

مما يعني أن مصر كانت مقسمة لثنتا عشرة كشوفية بجانب نيابتي الوجه البحري والوجه القبلي. (١٢ كشفية)

وهي بحسب ما ذكره المقريزي (الإسكندرية، والبحيرة، والغربية، والشرقية، والمنوفية، وقطيا، والجيزة والفيوم، والبهنسا، والأشمونين، وقوص وأسوان)

ثم فصل القول: في الولاة، وهم في رتبة ودرجة أدنى وأقل من الكشاف فقال:

ولاة الأقاليم، سبعة وسبعون أميرًا، (٧٧) تفصيلهم: سبع ولاة وسبعين مملوكا.

(أشمون الرمان[٦]، قليوب،

---

[١]) جماعة من أخصاء الخليفة نحو خمسمائة، وهم الخاصكية زمن القلقشندي، وعبر عنهم المقريزي بقوله: أحد مماليك المنصور قلاوون، أصولهم من الخطا والقبجاق، ومنهم الجمدارية (مهمتهم الاعتناء بملابس السلطان) والسقاة وسماهم الخاصكية. صبح الأعشى: جـ ٣/٥٥٢. الخطط، جـ ٣/٣٧٤

[٢]) الأمراء المسؤولين عن الخراج.

[٣]) في الأصل كانت ولاية ولها وال طبلخاناه، ثم تحولت لقرية بين العريش والقنطرة وتبعد عن القنطرة نحو ٢٦ ميلا، واندثرت ولم يتبق منها سوى أطلال. ابن بطوطة: الرحلة، جـ١/٢٣٢.القلقشندي: صبح الأعشى، ٣/٤٦٠.

[٤]) سيتم الحديث عنها مستقبلا في ثنايا البحث

[٥]) مدينة صغيرة ذات زروع وثمار، ونخيل، اشتهرت بثيابها الفاخرة، وذكرها ياقوت، بأشمون، نسبة أشمن أشمن بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح، وهي من مدن الصعيد القديمة، وتتبع الآن مدينة ملوي بمحافظة المنيا . الاصطخري: المسالك، صـ٤١. معجم البلدان، جـ ١/٢٠٠.

[٦]) ذكرها ابن بطوطه في رحلته وذكر أن سبب التسميه مرده لكثرة الرمان بها، ومنها يحمل إلى مصر، ولها مدينة عتيقة ومينا على النيل ترسو عليها المراكب، المعدة لحمل الرمان إلى العاصمة، وباقي أقاليم مصر، كما عرفت باسم أشموم طناح،وذكرها ياقوت بالقرب من دمياط، وكانت قاعدة الملك الكامل وظل بها بجنده وحتى سنة ٦١٨هـ/ ١٢٢١م، ولما راك الناصر محمد الروك الناصري ضم إليها الدقهلية والمرتاحية (نوسا الغيط)، وجعل اشموم أو أشمون العاصمة لها، وبها مقر الكشوفية، وظلت اشمون هي

الجيزة[١]وتروجا[٢]،وحاجب الإسكندرية[٣]، واطفيح، ومنفلوط، ومماليكهم سبعون فارسا.

القاهرة في عصورها المختلفة من عصر الفاطميين وحتى عصر المماليك

رقم مسلسل	دواوين ابن مماتى	السيوطي ووصف قاهرة الأيوبيين [٤]	القلقشندي[٥]	المقريزي	قاهرة الأشرف شعبان بحسب ما ذكره ابن الجيعان[٦]

القاعدة والعاصمة طوال سنى حكم المماليك، حتى عام ٩٢٣ هـ/ ١٥١٧م، في بدايات الحكم العثماني،ومن وقتها صارت المنصورة هي قاعدة الحكم في الدقهلية، وباتت اشموم قرية من قرى مركز دكرنس . معجم البلدان: جـ١/٢٠٠. رحلة ابن بطوطه: جـ١/٢٤. محمد رمزي: القاموس الجغرافي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.، ق٢ جـ١/٢٢٩.

[١]) مما يعني أن الجيزة لها كاشف ووال.

[٢]) ذكرها ياقوت وقال قرية من قرى مصر، من أعمال البحيرة، وذكر ابن بطوطة، أنها على مسيرة يوم من الإسكندرية (مرحلة وتقدر بنحو ٢٤ ميلا وهي مسافة أكثر من ٤٤ كم عند المالكية والأحناف وأكثر من ٨٩ كم عند الشافعية والحنابلة)، وبها وال وقاض وناظر، وبها قتل الأشرف خليل بن المنصور قلاوون، في سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٤م، كما أشار إليها ابن مماتى، وقال عنها علي مبارك في الناحية الغربية بطورس، وأقرب إلى حوش عيسى منها إلى دمنهور، مدينة قديمة ذات أسواق عامرة ومساجد مشيدة، وتعد رغم خرابها وضياع الكثير من معالمها وضياعها من المدن ذات التأثير التاريخي والحضاري في تاريخ مصر الإسلامية، ولا تزال هناك قرية تتبع مركز أبو المطامير بالبحيرة . ابن مماتى: قوانين الدواوين، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، صـ ١٢٢. ياقوت: معجم البلدان، جـ ٢٧/٢. رحلة ابن بطوطة، جـ ١٩٢/١. المقريزي: الخطط، جـ ٤٣/٤. علي مبارك الخطط التوفيقية، ط١، المطابع الأميرية، ١٣٠٦هـ/،١٨٨٩م.، جـ١٠/ ٣٢. علي جمعة: المكاييل والموازين الشرعية، القدس للنشر، ط٢، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، صـ ٥٦.

[٣]) مما يعني أن الإسكندرية من الأقاليم المهمة كالجيزة فعين لها كاشف وحاجب.

[٤]) يقول السيوطي: نقلا عن محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي المعروف بالوطواط (المتوفى: ٧١٨هـ/ ١٣١٨م) صاحب كتاب مباهج الفكر ومناهج العبر، ولما انقضت دولة العبيدين وملك المعز مصر سنة أربع وستين وخمسمائة، بنى صلاح الدين يوسف بن أيوب سورًا جامعًا بين مصر والقاهرة ولم يتم؛ يبتدئ من القلعة وينتهي إلى ساحل النيل بمصر، فطول هذا السور تسعة وعشرون ألف ذراع وثلاثمائة ذراع بالهاشمي، وعمل ديار مصر مقسوم بين المصريين؛ فالذي في حصة مصر من الكور أربع وعشرون كورة، تشتمل على تسعمائة وست وخمسين قرية، قد جعلت هذه الكور صفقات، كل صفقة منها وإلى حرب وقاص وعامل خراج، كل صفقة تشتمل على ولايات. حسن المحاضرة، المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر : دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، ط١ ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م.، جـ٢٦/١.

[٥]) سماها القلقشندي الأعمال. صبح الأعشى، جـ٣/ ٣٩٦

[٦]) شرف الدين يحيى بن المقر بن الجيعان كان مستوفي ديوان الجيش بمصر وله اشتغال بالعلم ومات في جمادي الآخرة سنة ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م، وهو صاحب الكتب وولده، أحمد بن يحيى بن شاكر بن عبد الغني المعروف بشهاب الدين بن الجيعان ت (٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م) ، كان من كتاب السر في مصر زمن المماليك

ل					
١	الشرقية	صفقة الجيزية [١]	الجيزية	الإسكندرية	القليوبية
٢	المرتاحية [٢]	الفيومية	الإطفيحية [٣]	البحيرة	الشرقية
٣	الدقهلية	والهنسي	البهنساوية	الغربية	الدقهلية والمرتاحية
٤	جزيرة قويسنا [٤]	مُنية بني خصيب [٥]	الفيومية	الشرقية	ثغر دمياط
٥	الغربية	الأسيوطية	الأشمونيين والطحاوية [٦]	المنوفية	الغربية ومدينتها المحلة

الجراكسة، له العديد من المؤلفات منها: (طوالع البدور في تحويل السنين والشهور) و (قوانين الدواوين) و (نزهة الناظر وطراز الدفاتر) للمزيد، ابن تغري بردي: المنهل الصافي، تحقيق:محمد محمد أمين، تقديم– سعيد عبد الفتاح عاشور، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.، جـ ٦/١٩٨. الزركلي: الأعلام، جـ ١/٢٧٠.

[١]) اتفق الوطواط ومؤرخي تلك الحقبة على اطلاق مصطلح صفقة على تلك الأقاليم، وقد ورد هذا المصطلح في مسالك الأبصار، ومعجم البلدان، وصبح الأعشى للدلالة على الإقليم أو الصقع. للمزيد ياقوت: معجم البلدان، جـ٣/ ٤١٣. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، جـ٣/٥٢٥. القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١/١٦٩.

[٢]) من الجهات البحرية أو كور الوجه البحري القديمة، وكانت قاعدتها نوسا، وكانت تضم للدقهلية وقاعدتها أشموم طناح . ياقوت: معجم البلدان، جـ٥/١٠٠.

[٣]) بلده من المدن القديمة في الجيزة كانت قاعدة لأعمال الجيزة وبداية الوجه القبلي، حتى صدر الأمر بتحويل الديوان إلى مركز الصف، وهي الآن مراكز الجيزة المستقلة. للمزيد القلقشندي: صبح الأعشى، جـ ٣/٤٥٠. محمد رمزي: القاموس الجغرافي، ق٢جـ٣/٢٦.

[٤]) محلها مركز ومدينة قويسنا الحالية بمحافظة المنوفية. محمد رمزي: القاموس الجغرافي،ق٢ جـ ٢/٢٠٤

[٥]) نسبة إلى الخصيب بن عبد الحميد صاحب الخراج من قبل، الخليفة هارون الرشيد، وهي الآن مركز ومدينة المنيا بصعيد مصر، من أشهر من وليها بن رزيك وبها العديد من الأثار والمزارات الإسلامية، وتعد واحدة من أجمل وآجل المدن الواقعة على النيل. للمزيد المقريزي: الخطط، جـ١/٣٧٩. محمد رمزي: القاموس الجغرافي، ق٢ جـ ٣/١٩٦.

[٦]) الاشمونيين من المدن القديمة، والعتيقة في صعيد مصر، والواقعة علي النيل، وعاصمة هذا الإقليم كانت في مدينة الأشمونيين، وقد دثرت المدينة القديمة، وضاعت معالمها، ولا تزال بقايها ممثلة في التل الواقع بالقرب من مدينة الأشمونين الحالية، وظلت تلعب دورها البارز والحضاري من زمن الفراعنة وحتى نهاية العصر العثماني، ولما تولى محمد على باشا حكم مصر١١٣٢هـ١٧٢٠م، رأي ان تلك المدينة تبعد كثيرا عن النيل، لذا اصدر مرسوما ملكيا بنقل ديوان الولاية منها إلى ملوى وظلت الولاية تعرف باسم الاشمونيين ولكن قاعدتها ملوى، وفي سنة ١٢٤١هـ١٨٢٦م، صدر الأمر بتغيير اسمها إلى مأمورية أسيوط، ومنذ ذلك التاريخ اصبحت تابعة لمركز ملوى والذى كان يتبع مديرية أسيوط، ثم انتقلت ملوى الآن إلى محافظة المنيا فأصبحت الأشمونيين الحديثة تتبع مركز ملوى بالمنيا، أما القديمة فقد زالت ولم يتبق

٦	السمنودية	الإخميمية	المنفلوطية	قطيا	المنوفية
٧	الدنجاوية [١]	القوصية	الأسيوطية	الجيزة	أبيار وجزيرة بني نصر [٢]
٨	المنوفية	القليوبية	الإخميمية	الفيوم	البحيرة
٩	جزيرة بني نصر	الشرقية	القوصية	البهنسا	إقليم فوة والمزاحمتين [٣]
١٠	البحيرة	المنوفية	الأشمونيين	الأشمونيين	نستراوه [٤]

منها إلا بعض الأطلال! أما طحا فكانت من أعمال الأشمونيين وقد وردت مضافة إليها في بعض المصادر ولا تزال هناك قرية تابعة لمركز سمالوط بالمنيا،تعرف بهذا الاسم . للمزيد القلقشندي صبح الاعشى، جـ ٤٥٢/٣. محمد رمزي: القاموس الجغرافي،ق٢ جـ٥٨/٤.

[١]) إحدى القرى القديمة الواقعة بمصر بالوجه البحري وتتبع شربين حاليا، ذكرها ياقوت وقال:" قرية بمصر كبيرة معروفة من جهة دمياط يضاف إليها كورة يقال لها الدّنجاوية" كما ذكرها محمد رمزي من اعمال الغربية التابعة لشربين ولا تزال هناك قرية بشربين بالدقهلية تعرف بهذا الاسم، والجدير بالذكر أن الدنجاوية كانت قد ضمت للغربية في الروك الناصري. معجم البلدان، جـ٤٧٧/٢. القاموس الجغرافي، ق٢جـ ٧٨/٢.

[٢]) إحدى القرى القديمة الواقعة في أعمال الوجه البحري، وقد وردتا منفصلتين، حيث ذكر ياقوت أن إبيار، إحدى البقاع التابعة لجزيرة بني نصر، والنسبة إليها ابياري، وزارها ابن بطوطه، فقال عنها:" قديمة البناء، فسيحة الأرجاء، كثيرة المساجد، ذات حسن زائد، ... بمقربة من النّحرارية يفصل بينهما النيل وتصنع بأبيار ثياب حسان تغلو قيمتها بالشام والعراق ومصر وغيرها" وذكرها المقريزي من اعمال المنوفية، وأنهما باسم واحد أبيار أو جزيرة بني نصر، ولكن الثابت أنهما مدينتان مختلفتان، فقد كانت جزيرة بني نصر من الأقاليم الواقعة في الوجه البحري وتضم العديد من البلاد، وذكر المقريزي أنها جزيرة بالنيل تنسب بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن، ولا تزال ابيار قائمة بمركز ومدينة كفر الزيات بالغربية، أما جزيرة بني نصر فقد دثرت، ووزعت توابعها علي محافظتي المنوفية والغربية، ولعل اهم ما تبقى منها هو قرية إبيار. معجم البلدان، جـ ٨٥/١. رحلة ابن بطوطه، جـ١٩٥/١. الخطط، جـ ٢٤٢/١. جـ٤١٨/١.

[٣]) الفوه مراد بها العروق الحمراء التى تصبغ بها الثياب، ذكرها ياقوت بليدة علي النيل قرب رشيد، بينها وبين البحر نحو خمسة فراسخ، ذات أسواق ونخل كثير، كما أشار إليها ابن الجيعان وذكر من توابعها الجزاير والعطف وجزيرة الذهب وحوض الخولي وغيرها، وكان عليها زمن القلقشندي شاد الخاص، هو من يتولى أمرها، حيث قال:" مدينة متوسطة بالبر الشرقيّ من فرقة النيل الغربية يقابلها جزيرة لها تعرف بجزيرة الذهب ذات بساتين وأشجار ومنظر رائق، وليس بها ولاية، وإنما يكون بها شاد للخاص، يتحدّث في كثير من أمور الولاية" واشار إليها محمد رمزي كإحدى توابع مركز فوه التابع لمديرة الغربية آنذاك، وهي الآن مركز مستقل يتبع محافظة كفر الشيخ وقد زال اسم المزاحمتين واندثر العديد من توابعهما . معجم البلدان، جـ ٢٨٠/٤٨.صبح الأعشى، جـ٤٦٢/٣.التحفة السنية، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٤م،صـ ١٣٧. القاموس الجغرافي، ق٢جـ١١٤/٢.

[٤]) من الاقاليم القديمة، عرفت نسترو و نستراوه، النستراوية، وقد أشار إليها ياقوت وقال: جزيرة بين دمياط والإسكندرية يصاد فيها السمك، وليس عندهم ماء وإنما يأتيهم في المراكب فإذا لاحت لهم مراكب الماء

١١	حوف رمسيس[١]	إيبار	الضواحي [٢]	قوص	ثغر الاسكندرية
١٢	الكفور الشاسعه[٣]	الغربية	القليوبية	أسوان	الجيزة

ضربوا بوق البشارة سرورا ثم يأتي كلّ رجل بجرته يأخذ فيها الماء ويحملها إلى بيته يتقوّت به وقت عدمه، وقيل: هي جزيرة ذات أسواق في بحيرة منفردة، زارها ابن بطوطه ووصفها، بانها بلاد الصالحين، وبها قبور لبعض الأولياء، وتتسم بكونها كثيرة النخل والثمار والطير البحري، وهي على مقربة من تنيس (بحيرة المنزلة) عند اجتماع الماء المالح والماء العذب (مدينة رشيد الحالية حيث يلتقي النيل بالبحر) قلت وكلام ابن بطوطة أوثق من كلام ياقوت لكونه متأخر عنه وقد زارها، وهو نفس المكان الذى حدده القلقشندي، وقد هاجمها الفرنجة في سنة ٧٩٥هـ/ ١٣٩٣م، وقد أشار إليها ابن الجيعان وذكر من توابعها، البرلس وبلطيم، ورشيد وسنجار، أما محمد رمزي فحدد مكانها الآن بكوم مسطورة غرب البرلس بالقرب من البحر المتوسط، بأرض ناحية الفقهاء، التابعة لمركز دسوق بمديرية الغربية حينها، والتابعة الآن للبرلس بمحافظة كفر الشيخ أي أن هذا المكان كان يقع بين البرلس ورشيد، ويضم بلطيم وادكو ورشيد والبرلس، وقد دثر هذا المكان الآن . معجم البلدان، جـ٥/٢٨٤.رحلة ابن بطوطة، جـ١/١٩٧. صبح الأعشى، جـ ٣/٣١٩.التحفة السنية، صـ١٣٨. ابن شاهين: نيل الأمل، ، المحقق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م، جـ ٢/٣٣٣. القاموس الجغرافي، ق١ صـ٤٥٩.

[١]) تقسيم جُغرافي مصري استُحدث في عصر الدولة الفاطمية وكانت قاعدته بلدة رمسيس (مندثرة). وظلت قائمة حتى ألغيت في الروك الناصري وضمت إلى أعمال البحيرة، وكانت تشمل الأجزاء الجنوبية من محافظة البحيرة اليوم، وبحسب ما ذكره القلقشندي ومحمد رمزي فإن هذا الحوف ضم بعض أجزاء محافظة البحيرة والغربية وكفر الشيخ والمنوفية مثل: شباس والبدقون، والحيس وخربتا، وكورة رشيد والبحيرة. للمزيد صبح الأعشى، جـ ٣/٤٦٢. القاموس الجغرافي، ق١صـ ٥١

[٢]) كانت تقع على أطراف القاهرة، من الجهة الشمالية، وقد نص عليها ابن الجيعان، فذكر منها أرض البعل(تمثلها الآن غمرة والشرابية) والعركشة (تقع في حدود مركز الخانكة بالقليوبية) وكانت مساحتها خمسين فدانا، وكذلك الخندق أو منية الأصبغ،نسبة للأصبغ بن عبد العزيز بن مروان (٨٦هـ/ ٧٠٥م)، وتحدث عنها ياقوت أنها قرية بظاهر القاهرة، وقد حفر جوهر خندقا بها فعرفت بهو ولايزال هناك شارعا يحمل نفس الاسم بحي دير الملاك، وذكر محمد رمزي أنها تنحصر في المسافة الواقعة بين الدمرداش والزاوية الحمراء، والمطرية وكوم الريش (الزاوية الحمراء) ومنية السيرج (عرفت بمنية الأمراء ولا تزال قائمة إلى الأن بحي شبرا الخيمة) وبركة الفيل وبركة الحاج وبيجام، والبيمارستان المنصوري (الإميرية الحالية) وغيرها من البقاع التي كانت منفصله عن القاهرة ولها وال أو كاشف، وكانت احيانا تضم للقاهرة!. معجم البلدان، جـ٢/٣٩٢. المقريزي: الخطط، جـ ٣/٢٤٣.ابن الجيعان: التحفة السنية، صـ ٦. القاموس الجغرافي ق١/٣٦. ٤٢٩.

[٣]) كانت من الاعمال المستحدثه في العصر الأيوبي، ثم ضمت إلى أعمال البحيرة بعد عمل الروك الناصري، وكانت تقع على حدود الصحراء الغربية، ولذا عرفت بالكفور الشاسعة، فالكفر الأرض المقفرة، والشاسعة الواسعة المترامية الأطراف وقد دثر معظمها، ولم يتبق منها إلا حوش عيسي والدلنجات ودمنهور. القلقشندي: صبح الأعشى، جـ ٣/٤٦٢. ابن مماتى: قوانين الدواوين صـ١١٧. ابن الجيعان، صـ ١١٦

١٣	فوه والمزاحمتيين	الدقهلية والمرتاحية	الشرقية	الأسيوطية	الأعمال الاطفيحية
١٤	الجيزية	البحيرة	الدقهلية والمرتاحية	الإخميمية	الفيومية
١٥	الاطفيحية	القلزم [١]	البحيرة	السمنودية	البهنساوية
١٦	البوصيرية	فاران [٢]	المزاحمتين	الدنجاوية	الاشمونين
١٧	الفيومية	الطور	المنوفية		المنفلوطية
١٨	البهنساوية	أيلة [٣]	الغربية		السيوطية
١٩	الأشمونيين	واحة الخارجة	جزيرة بني نصر		الاخميمية
٢٠	الأسيوطية	الوسطى			القوصية
٢١	الاخميمية	الداخلة			
٢٢	القوصية	الفرما وتنيس[٤]			
٢٣		رشيد			
٢٤		الإسكندرية			
٢٥		دمياط			
٢٦		كونيه	من الثغور بين مصر وليبيا		
٢٧		مراقبة	من الثغور بين مصر وليبيا		

من خلال هذا الجدول نلاحظ ظهور كشوفيات واختفاء أخرى ودمج البعض مما يعني أن

---

[١]) ذكرها ابن المنجم وقال هي السويس وبينها وبين مصر مسيرة ثلاثة أيام، قفر، ولا عمارة فيها، وذكر القلقشندي ان موضع القلزم القديم كان في مكان قريب من مدينة السويس وذكرها المقريزي أنها مدينة ساحلية، كانت بها المكوس المفروضة على البضائع التي تقف بها بينها وبين الفرما (العريش) ٢٥ فرسخا . آكام المرجان، صـ٩٤. صبح الأعشى، جـ٣/٥٣٧. الخطط المقريزية، جـ ١/٣٩٣.

[٢]) مدينة قديمة من مدن العماليق، يقال: إن بها موضع غرق فرعون! كانت مجاورة للطور، وذكرها ابن الجيعان ضمن الأعمال الشرقية، وكانت تقع في وادي قديم يعرف بوادي فيران يبعد عن سينا نحو ٥٥ كلم، وقد دثرت ولم يتبق منها سوى الأطلال . البكري والممالك، جـ١/٤٢١. التحفة السنة، صـ٣٨. محمد رمزي: القاموس الجغرافي، ق صـ ٣٤٢.

[٣]) ذكرها اليعقوبي، من المدن الحدودية، كانت مكانا لتجمع حجيج مصر والشام، وهي الآن مدينة العقبة شرق الأردن تقع على الحدود بين مصر والأردن وهناك خليج العقبة الواقعة على البحر الأحمر، وهي منطقة حدودية بين مصر والأردن والمملكة العربية السعودية . البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ،صـ١٧٨. محمد رمزي: القاموس الجغرافي، ق١صـ ١٣٧.

[٤]) ذكر السيوطي أن الملك الكامل محمد (٦١٥-٦٣٥هـ/ ١٢١٨-١٢٣٧م) هدمها خوفا من هجوم الفرنج عليها في سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٧م . حسن المحاضرة، جـ ١/٢٨.

مسألة الاستمرارية لم تكن سائدة، فالناظر إلى الجدول السابق يتضح له ما يلى :

١. هذا هو التصور لأقاليم القاهرة وكشوفياتها، من القرن السابع وحتى القرن التاسع الهجري تقريبا (٦٠١- ٩٠٠هـ / ١٢٠٤- ١٤٩٥م)

٢- هناك أقاليم بقيت كما هي مثل: القاهرة والإسكندرية، والشرقية والغربية والبحيرة، والدقهلية والتي ضمت إليها المرتاحية، والمنوفية والجيزة والفيوم والبهنسا، والقوصية والفيوم والأسيوطية، والإخميمية مما يعني أن أقاليم ظلت على حالتها

٣- هناك أقاليم ظهرت في أوقات ثم ضمت لأقاليم أخرى في أحايين أخرى، مثل: الأشمونيين التى كانت ضمن اعمال البهنسا في العصر الأيوبي ثم جعلت كشوفية خاصة في عصر سلاطين المماليك، كذلك السمنودية والدنجاوية ذكرها) ابن مماتى (٦٠٦هـ ١٢٠٩م) والمقريزي (٨٤٥هـ /١٤٤١م ولم يشر إليها السيوطي (٨٥٥هـ / ١٤٥١م)، ولا ابن الجيعان (٨٨٥هـ / ١٤٨٠م)، وذكر القلقشندي (٨٢١هـ/ ١٤١٨م) أنها ضمت إلى الغربية، كذلك نلاحظ الضواحي كانت ولاية مستقلة ثم ضمت، جزيرة بني نصر وإبيار وغير ذلك، مما يدل أن الكشوفيات كانت تزيد وتنقص على حسب الحالة السياسية، فأسوان مثلا: تمت اضافتها كولاية مستقلة لما زادت فيها حدة المشكلات وثورات العربان!.

كذلك لدينا أيلة والطور وفاران والتي عرفت بوادي فيران والفرما نجد أنها ذكرت عند بعض الجغرافيين كولايات مستقلة في حين ذكرت في أماكن أخرى على أنها تابعة لولايات أكبر.

ومن الجدير بالذكر أن النيل كان العامل الرئيس في توزيع عواصم تلك الكشوفيات، باعتباره مصدر النقل والمرور الأعظم في هذا العصر ورمز النماء والرخاء، فكلما كانت المدينة أقرب إلى وادي النيل كقوص ومنفلوط واطفيح وغيرها كانت هي الأنسب لأن تكون قاعدة للإقليم.

مهام الكاشف:

مما سبق يتضح أن منصب الكشف أشبه ما يكون اليوم بمنصب المحافظ، وما يتبعه من وحدات ومراكز وقرى، وأن الكشاف لهم مهام عديدة، منها: وعلى رأسها، ضبط الأمن، وقمع ثورات ومظاهرات المتمردين، من العربان وغيرهم، وجمع الضرائب من الفلاحين، ومباشرة أعمال الجسور ؛ والمشروعات الزراعية، مع كاشف الجسور أو كاشف التراب .

بالإضافة إلى تولى أمر الكشوفية كلها، والنيابة عن السلطان، وكاشف الكشاف في تلك الكشفية، وتبليغ أوامر السلطان للرعية في الناحية؛ والإقليم المنوط به.

كما له الحق في ضبط أمور الكشوفية بما لا يتعارض مع مصالح السلطنة .

ففي سنة ٧٤٤ هـ/ ١٣٤٣م، تمرد عربان الصعيد واقتتلوا، فيما بينهم، وقطعوا الطرق،

وتعطلت المصالح، فركب إليهم الأمير علاء الدين الكوراني[١]، في نفر من جنده، وبعض أعداء هؤلاء العربان، لمواجهتهم، ورد كيدهم.

وفي السنة نفسها، اقتتلت طائفتان قتالا عنيفا، وقتل من بينهما خلق كثير، فركب إليهم، أزدمر كاشف الوجه البحري[٢] في عدد من الجند والخيل والرجل، فقتل منهم خلقا كثيرًا [٣]

وفي سنة ٨٥٤هـ/ ١٤٥٠م، تمكن كاشف البنهساوية تغري بردي القلاوي [٤]، من جماعة من المفسدين من العربان فقوصهم [٥] على فسادهم [٦]

وقد أورد ابن شاهين[٧] نصا بالغ الأهمية، يؤكد على ما أشرت إليه في كون الكشاف، ومرؤوسيهم، إنما هم أداة لتنفيذ أوامر السلطان، وضبط الأمن والأمان في ربوع البلاد، ففي

---

[١]) أحد الأمراء الكبار، عصر دولة المماليك البحرية، تقلب في المناصب، وولي العديد من المناصب الإدارية منها: ولاية القاهرة، والوجه البحري، وكشوفية الغربية، والوجه القبلي، وقبض عليه في سنة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م، ثم افرج عنه وولي القاهرة في سنة ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٨م، وقد استعفى في سنة ٧٦٤ هـ/ ١٣٦٣م، ولم أعثر له على أثر بعد تلك الحادثة ولعله مات بعدها بفترة وجيزة. للمزيد عن ابن الكوراني يرجى مطالعة، المقريزي: السلوك، جـ٣/ ٢٥٤،٢٧٨؛جـ٤/٦٩؛ ٢٦٨.

[٢])عز الدين أيدمر الأعمى الكاشف، أصله كان من مماليك الأمير الماس الحاجب(٧٣٤هـ/ ١٣٣٠م) وتنقل في خدمة الأمراء، حتى ولي وظيفة المشدية، ثم انتدبه الناصر محمد بن قلاوون، وبعثه في حملة إلى اليمن، فلما عاد ولاه قطيا، وجعله أمير عشره، ثمّ نقله إلى ولاية الصناعة وشدّ الأهراء، ثمّ إلى ولاية البهنسى، وعمله أمير طبلخانه، ثمّ نقله إلى كشف الوجه القبليّ فظهرت كفايته وأمانته، وكان مكثرا من سفك الدماء والبطش، ثم ولاه كشوفية الوجه البحري، وعمل الجسور والسدود، ونقل إلى الوجه البحري من أجل ضرر ألم بعينه من شدة الحر، عمى على أثره، وعرف بالأعمى، كانت له معرفة بالشعر والنحو، والأدب، توفى في سنة ٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م. المقريزي: المقفي الكبير، جـ٢/٢٣. ابن حجر: الدرر الكامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر اباد/ الهند، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، جـ ٤٢٢/١.

[٣]) المقريزي: السلوك، جـ٤٠٧/٣

[٤]) تغري بردي الظاهري القلاوي، كان من جملة مماليك الظاهر جقمق(٨٤١-٨٥٧هـ / ١٤٣٧-١٤٥٣م) أيام امرته فكان يرسله إلى اقطاعه قلا، بالوجه القبلي كثيرا فلذا اشتهر بالقلاوي، ولما تسلطن أستاذه ولاه كشف الجيزة ثم نقله لعدة ولايات، ثم وزر في آخر دولته عوضا عن أمين الدين بن الهيصم فأقام فيه أشهرا ثم عزل وأعيد لكشف اقليم البهنساوية بالوجه القبلي، ووقعت له أمور مع الاشرف اينال (٨٥٧-٨٦٥هـ/ ١٤٥٣-١٤٦١م) وأخذ منه اموالا كثيرة، ثم ولاه البهنسا، ولم تدم له طويلا، فمات مقتولا في سنة ٨٥٧هـ /١٤٥٣م، ودفن بالقرافة . السخاوي: الضوء اللامع، منشورات مكتبة الحياة، جـ ٢٩/٣.

[٥]) أطلق عليهم النار أو قوسهم أطلق عليهم السهام، وكلاهما عقوبة تعنى القتل. انظر رينهارت: تكملة المعاجم العربية، جـ ٤٠٨/٨. مادة قوس

[٦]) ابن تغري بردي: حوادث الدهور، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، جـ٢٨٦/١.

[٧]) نيل الأمل في ذيل الدول، جـ ٣٢٧/٦.

سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٨م، زاد فساد العربان، وكثر الهرج والمرج في ربوع السلطنة، فعين السلطان كشافا وولاة جدد، لضبط الأمر، وقمع المفسدين فخلع ولاة وولى أخرين لاستتباب الأمور.

وكانت كثيرا ما تتسب تلك المواجهات في قتل هؤلاء الكشاف، من هؤلاء، الأمير اقبغا الجمالي[١] الذى قتله عربان البحيرة [٢]، وكذا الأمير قشتم المحمودي [٣] الذى قُتل على يد عربان البحيرة كذلك،[٤]

ولم يقتصر دور الكشاف؛ على مواجهة العربان، وقمع الخارجين وحسب، بل تعدتها لأدوار أخرى منها: جباية الضرائب، وجمع الأموال كما ذكرت.

ففي حوادث سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م طلب كاشف الوجه القبلي من معاونيه جباية عشرة الالف أردب شعير، سعر الأردب عشرة دراهم،[٥] أي ما يعادل مائة ألف درهما!

وفي سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م، حدث جفاف فيما بين مصر العتيقة (الفسطاط والعسكر والقطائع) وحتى منشأة المهراني [٦]إلى زريبة قوصون [٧]وجفت بعض الأماكن الأخرى، ورأي بعض المهندسين ومعاونيهم، من رؤساء البحر[٨] وغيرهم، بعد قياسهم لما بين الجيزة

---

[١]) اقبغا بن عبد الله الجمالي الأستادار، أحد أمراء الطبلخاناة بدولة المماليك، تقلب في المناصب حيث عين استادار الأمير كمشبغا الجمالي، والذى عرف به، وكان من أعظم المناصب التي تولاها الاستادارية، كما ولي كشوفية الوجه القبلي وكشوفية الوجه البحري، واخرها كشفية البحيرة، وكان سفاكا للدماء باطشا جبارا، قتل على يد العربان في سنة ٨٣٧ هـ/ ١٤٣٣م. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، جـ ٤٨٥/٢.

[٢]) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ٣٧/١٥.

[٣]) كاشف البحيرة كان أميرا جليلا وقورا، جمع بين الكرم والشجاعة وحسن الخصال عكس كثير من الكشاف في في زمانه مات مقتولا على يد عربان البحيرة في سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ١٦٧/١٦. ابن اياس: بدائع الزهور، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، جـ٣١٤/٢.

[٤]) ابن شاهين: نيل الأمل،جـ٤٠٣/٥.

[٥]) المقريزي: السلوك، جـ٦٤/٤.

[٦]) شارع القصر العيني الحالي. عبد الرحمن زكي: القاهرة في ألف عام، مكتب الأنجلو المصرية، ١٩٨٧، صـ ٣٧٠. ٣٧٠.

[٧]) (من ميدان سيمون بوليفار بجاردن سيتي وحتى ميدان عبد المنعم رياض، ويمثل الزريبة الآن المتحف المتحف المصري بالتحرير) محمد الششتاوي: متنزهات القاهرة، دار الآفاق العربية، ١٩٩٩، ط١، صـ ٤٢.

[٨]) المعبر عنها بأمير البحر والمعروفة فيما بعد، بالأميرال، ويكون تحت إمارة وقيادة الأتابك أو قائد الجيش، كما عرف بأمير البحر أو أمير الماء، ورتبته من أمراء الألوف، وقد ورد لفظ أمير الماء في بعض المصادر التاريخية ومن ذلك ما ذكره ابن ماكولا، عند ترجمته لعبد الرحمن بن محمد البلخي، محمَّد بن يوسف بن ريحان ت (٣٦٤هـ/ ٩٧٥م) وكان يشغل منصب أمير الماء ببخاري. سعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا (المتوفى: ٤٧٥هـ/١٠٨٢م): الإكمال في رفع الارتياب، دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ– ١٩٩٠م، جـ٢٤/١. ابن شاهين :الروض الباسم، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، صيدا، بيروت، جـ١٢٨٩/٢. رينهارت : تكملة المعاجم العربية، جـ ٥٤/٥. أحمد تيمور: معجم الألفاظ العامية، المحقق: حسين نصّار، الناشر:

والمقياس (مقياس النيل)؛ لعمله جسراً، فوجدوا أن هذا الأمر محال، وذلك لسببين أولهما: أن بناء هذا الجسر يتسبب في خراب منطقة الجيزة وتصحرها، الثاني: أن هذا الجسر سيعمل على دفع الماء بقوة نحو بولاق ومصر القديمة مما يتسبب في فيضانات وخراب الأملاك بتلك البقاع.

بيد أن الأمير منجك السيفي [١] سفه قولهم، وقلل منهم وأراد أن يتم العمل ويعمل الجسر، وشرع فيه بالفعل بعدما فرض، ضرائب وجبايات، تجبى بمعرفة الولاة والكشاف، ومعاونيهم، لكن تكشف بعد ذلك استحالة تمام هذا الجسر، وثبت صحة الرأي القائل بذلك ![٢]

والشاهد من هذا النص التعرف على بعض مهام الكشاف والولاة، والتي تمثلت في جمع الضرائب وتجنيد العمال والإشراف على الجسور وغيرها من المهام.

وفي سنة ٨١٩هـ/ ١٤١٦م، " قَدِم الأمير فخر الدين بن أبي الفرج [٣] كاشف الكشاف

دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة – مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.، جـ٢/٧١.

[١]) الناصري نسبة للناصر محمد، تقلب في المناصب حتى ولى منصب السلاحدارية في ولاية الصالح إسماعيل، وكان من وزراء الناصر حسن (٧٤٧-٧٥١هـ/ ١٣٤٧-١٣٥١م)، ونائب دار السلطنة في الشام، عصر الأشرف شعبان بن حسين (٧٦٤- ٧٧٨هـ/ ١٣٦٣-١٣٧٧م)، كان محبا للعمارة وهو صاحب المسجد في الحطابة بباب الوزير ويحمل أثر رقم (١٣٨) وتاريخ (٧٥٥-١٣٥٤م) وكان لهذا الأمير خان منجك ودار فخمة برأس سويقة العزى بقرب مدرسة السلطان حسن، بجانب عمائره بالشام.ت (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) للمزيد المقريزي: الخطط، جـ ١٢٨/٤. ابن تغري بردي: النجوم،جـ١١/١٣٣.محمد محمود الجبارات، وقفية منجك باشا (٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م) المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، العدد الأول، ٢٠٠٩م، صـ ٧٢.

[٢]) المقريزي: السلوك، جـ٧٤/٤

[٣]) فخر الدين عبد الغني بن عبد الرزاق بن أبي الفرج بن نقولا بن الوزير تاج الدين الأرمني الأصل، كان جده نصرانيا ثم أسلم، ولد فخر الدين سنة ٧٢٤ هـ/ ١٣٢٤م، تعلم الكتابة والحساب وغيرها من العلوم، وتدرج في المناصب، ومن أهم المناصب التي شغلها كاشف قطيا، في سنة ٨٠١ هـ/ ١٣٩٩م، كما ولي كشفية الشرقية، في ٨١١هـ/ ١٤٠٨م، وقد أسرف في قتل الكثير من العربان، كما ولي كشوفية الوجه البحري وقطيا مرات عديدة، ثم ولي الأستادارية في جمادى الأولى سنة ست عشرة، (٨١٦هـ/ ١٤١٣م) فجادت أحواله وصلحت سيرته ،..لكنه أسرف في أخذ الأموال من أهل القرى، وولي كشف الصعيد فعاد ومعه من الخيول والإبل والبقر والغنم والأموال ما يدهش من كثرته، ثم توجه إلى الوجه البحري ففرض على كل بلد وقرية مالاً سماه ضيافة، فجمع من ذلك مالاً جزيلاً في مدة يسيرة، ثم حبسه المؤيد شيخ (٨١٥-٨٢٤هـ / ١٤١٢-١٤٢١م)، لسوء سيرته وعزم على القبض عليه، فهرب إلى بغداد، ثم لم تطب له البلاد فعاد ورمى بنفسه على خواص المؤيد، فأمنه وأعاده إلى كشف الوجه البحري، ثم أعاده إلى الأستادارية في سنة تسع عشرة (٨١٩هـ/ ١٤١٦م)، فحمل في تلك السنة مائة ألف دينار وتوجه لحرب أهل البحيرة ومعه عدة أمراء في شوال سنة تسع عشرة فكان الكل من تحت أمره، ووصل إلى حد برقة ورجع بنهب كثير جداً، ثم لما مات تقي الدين ابن أبي شاكر أضيفت الوزارة في صفر سنة إحدى وعشرين

بطائفة من أهل البحيرة واستاق لهم من الأغنام الشعاري [١] أربعة آلاف وستمائة رأس (٤٦٠٠) وأغنام ضأن ثلاثمائة رأس(٣٠٠ رأس) وأبقار مائتي رأس، (٢٠٠) وحمير مائتي (٢٠٠) رأس بعثها إلى السلطان سوى ما حصل بيده ويد أعوانه ثم جهز أيضا غنما شعاري ثلاثة آلاف رأس(٣٠٠٠) وغنم ضأن ألف رأس (١٠٠٠) وخيلا عشرين فرسا(٢٠) ومائتي رأس من البقر (٢٠٠) ومائة حمار(١٠٠)" [٢] مما يعنى أن مجموع ما غنمه من البحيرة وحدها، في عام واحد تسعة آلاف وستمائة وعشرين رأساً(٩٦٢٠) ما بين أغنام وماعز وبقر وحمر وخيل !!

(٨٢١ هـ/ ١٤١٨م)، فباشرها بعنف، وقطع رواتب الناس وبالغ في تحصيل الأموال، ثم توجه إلى الوجه البحري وأخذ الضيافة على العادة ولاقى السلطان لما رجع من الشام بأموال عظيمة. ثم توجه إلى الصعيد وأوقع بأهل الأشمونين ورجع بأموال كثيرة جداً، ثم استعفى عن الوزارة في شوال سنة عشرين ثم توجه نحو الوجه القبلي فأوقع بالعرب وجمع مالاً كثيراً جداً، ثم أصابه الوعك في رمضان واستمر في مرضه ذلك إلى أن مات في نصف شوال سنة ٨٣١ هـ /١٤٣٠م ، وكان أعجوبة زمانه، له من المنشآت مدرسته المعروفة بالعتبة على رأس شارع بورسعيد والمعروفة بجامع الفخري أو جامع البنات أثر رقم (١٨٤) ٨٢١هـ/١٤١٨م. للمزيد : ابن حجر: إنباء الغمر، جـ ١٨٢/٣. حسن عبد الوهاب: المساجد الأثرية، ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٤م،جـ١صـ٢١٥.

[١]) نوع من الأغنام الصغيرة التي فطمت من الرضاع.

[٢]) المقريزي: السلوك، جـ٤٠٩/٦.

جملة ما ساقه في هذا العام من خلال جدول إحصائي كالاتي:

النوع	العدد	القيمة
أغنام الشعاري	٤٦٠٠	الرأس قيمتها ١٠٠ درهما [١] (٤٦٠٠٠٠ درهما)
أغنام ضأن	٣٠٠	الرأس ٢٠٠ درهما [٢] (٦٠٠٠٠)
الأبقار	٢٠٠	١٠٠٠٠ درهما للرأس [٣] (٢٠٠٠٠٠٠)
حمير	٢٠٠	١٥٠٠ درهما (٣٠٠٠٠٠)
شعاري	٣٠٠٠	١٠٠ درهما(٣٠٠٠٠٠)
ضأن	١٠٠٠	٢٠٠ درهما (٢٠٠٠٠٠)
الخيل	٢٠	١٠٠٠٠ درهما على الأقل [٤] (٢٠٠٠٠٠)
البقر	٢٠٠	٣٠٠٠ درهما (٦٠٠٠٠٠)
الحمر	١٠٠	١٠٠٠ درهما على الأقل (١٠٠٠٠٠)
المجموع	٩٦٢٠	٤،٠٢٠،٠٠٠ درهما!!

أي أن ناتج حصاد عام واحد تجاوز الأربعة مليون درهما!! ولو قلنا إن عدد كشوفيات مصر وأقاليمها الرئيسة يتجاوز العشرين إقليما، فإن عدد ما يتم تحصيله يتجاوز حاجز الثمانين مليونا درهما، فقط من الدواب؛ والماشية بخلاف، ما يتم تحصيله من الموارد الأخرى، وعليه فإن مسألة اختيار الكشاف والولاة أمر في غاية الصعوبة والمشقة.

---

[١]) هي نسبة تقريبية ففي عام ٧٥٢ هـ/ ١٣٥١م، تراوح سعر أردب القمح من ٢٠ إلى ٣٧ درهما، وبلغ في سنة ٨٣٠ هـ/ ١٤٢٧، من مائة إلى مائة وخمسين ١٠٠: ١٥٠ درهما. وبما أن الفطام من الغنم ربما يعادل سعر أردب من القمح أو أكثر بقليل فعليه ربما تراوح السعر من ١٠٠ إلى ١٥٠ للرأس. أنظر المقريزي: السلوك، جـ٤/١٤٩. جـ٧/١٤٥.

[٢]) بلغ سعر رطل اللحم الضأن من الماعز والأغنام سنة ٨١٠ هـ / ١٤٠٧م، نحو تسعة دراهم وبما أن الخروف تقريبا ربما ساوى ٢٠ رطلا فيكون سعره في هذا العام ١٨٠ درهما على الأقل . السلوك جـ٦/١٨٩.

[٣]) على اعتبار أن سعر رطل اللحم البقري أو الجاموس في تلك الفترة كان يتراوح من ٧ إلى ١٠ دراهم. انظر السلوك السابق.

[٤]) كان للمماليك ولع بتربية الخيل، وأنشأوا لها الإصطبلات واقتنوا منها أجود الأنواع، وقد وصل سعر الفرس في زمن الناصر محمد من العشرة آلاف والعشرين ألف والثلاثين آلف درهم سوى الإنعام على مالكها حتى أنه اشترى من آل مهنا الفرس بمائة آلف درهم!!. للمزيد المقريزي: السلوك، جـ٣/٣٠٤. شيرين عبد الحليم القباني وآخرون: العناية بالخيل في مصر المملوكية (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م) المجلة العلمية لكلية السياحة والفنادق، العدد الثالث عشر، ٢٠١٦م، صـ ١٤٢.

وفي حوادث سنة ٨٩٣ هـ/ ١٤٨٨م، وفي سلطنة الأشرف قايتباي (٨٧٢-٩٠١هـ/ ١٤٦٨-١٤٩٦م) جدد السلطان ما يعرف بجباية الخمس[١] فأرسل لكاشف الشرقية بأن يأخذ من البلاد الخمس من خراج المقطعين، بسبب تجهيز خيّالة من فرسان عربان الشرقية، يتوجّهون إلى العسكر عونة بسبب قتال عسكر العثمانيين [٢]

وكان الكشاف بعضهم يتجبر في مسألة الجباية وفرض الأموال، وأخذها بالقوة والقهر والجبروت، وهناك الأمثلة التي سنتعرض لبعضها عند الحديث عن الكشاف، ولعل من هؤلاء: أزدمر الكاشف المعروف بالأعمى، كان من الأمراء ذوي الجاه والسلطان في دولة المماليك البحرية، تولى العديد من المناصب، من أهمها الكشوفية، فتولى كشوفية البهنسا، وكشوفية الوجه القبلي والبحري بعدها، وبسبب حر الصعيد تأثر بصره، وطلب نقله للوجه البحري، وتولى ثغر الإسكندرية، وعمل الجسور، وكان سفاكا للدم، شرها في جمع الأموال والجباية، متجبرا، كانت لديه من أموال الكشف وما جباه من مكوس وضرائب وأموال ما لا يُحصى وقد توفي في سنة ٧٥٤ هـ/ ١٣٥٣م[٣]

وكذا تلميذه أرغون، ولي الكشف، وكان ظالما غشوما، فاحشا، جمع من أموال الناس بدون وجه حق الكثير، حتى قيل: إن جملة ما حصروه عنده تجاوز ثلاثة مليون، ودفن بعد قتله في سنة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٦م[٤]

ولعل هذا يدلل ويكشف لنا جزءاً من حياة الكشاف، ومهامهم.

والأمثلة على أن الكاشف كان الأداة الجامعة للأموال والجابية للضرائب، والمكثرة من أموال السلطنة كثيرة؛ تعج بها المصادر التاريخية والحضارية!

وكانت كثير ما تؤل أجزاء من أموال المنتصر عليهم في الثورات والغارات إلى الكشاف، والنصيب الأكبر يذهب إلى الخزانة السلطانية.

ففي سنة ٨٢١ هـ/ ١٤١٨م، دار قتال بين سودون القاضي[٥] كاشف الوجه القبلي، وعرب

---

[١]) هي ضريبة تؤخذ من كل قطر وصقع، عبارة عن خمس ما يخرج من هذا الاقطاع، وقد ذكر ابن اياس في حوادث سنة ٨٩٣ هـ / ١٤٨٨م، أن السلطان قايتباي، جدد مظلمة شنيعة، وهي أنه أرسل لكاشف الشرقية بأن يأخذ من البلاد الخمس من خراج المقطعين، بسبب تجهيز خيّالة من فرسان عربان الشرقية، ومن الجدير بالذكر أن تلك الجباية كانت موجودة حتى أبطلها الناصر محمد بن قلاوون ثم أعيدت مرة أخرى. للمزيد. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٩/٤٦. ابن إياس: بدائع الزهور ٣/ ٢٥٣.

[٢]) ابن شاهين: نيل الأمل في ذيل الدول، جـ٨/١١٥. ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣/٢٥٣.

[٣]) المقريزي: المقفى الكبير، جـ٢/ ٢٣.

[٤]) ابن حجي: التاريخ، جـ١/١٨٤.

[٥]) بن عبد الله الظاهري، نسبة للظاهر برقوق، فهو من جملة مماليكه، ثم انتقل للناصر فرج، وكان من الذين دبروا قتله، ثم ترقى في دولة المؤيد شيخ، وصار من جملة الأمراء مقدمي الألوف بالديار المصرية في الدولة المؤيدية شيخ، ثم استقر حاجب الحجاب وصار من جملة الأمراء مقدمي الألوف بالديار المصرية في الدولة المؤيدية

فزارة، فقتل منهم، وأخذ من أموالهم، ففروا من الصعيد إلى الوجه البحري، فتلقاهم كاشف الوجه البحري بالحرب والقتال، فكانوا كمن يفر من قدر الله إلى قدر الله، وأخذ أموالهم وقتل منهم خلقا كثيراً[١]

كذلك من مهام الكشاف متابعة الجسور، والمشروعات الزراعية، مع المشدين وكشاف الجسور، وولاة البلاد.

ففي سنة ٧٣٩ هـ/١٣٣٨م، أنشأ الناصر محمد (٧٤١ هـ/ ١٣٤٠م) جسراً يمتد من شبين إلى بنها، وجمع له المهندسين والعمال والفعلة، فجمع له ثنتا عشرة ألف رجلا، ومائتي جرافة، وكان المباشر لتلك الأعمال مشدو البلاد، والكشاف، وكشاف الجسور[٢]

ذكرنا كذلك أن من مهام الكاشف تبليغ أوامر السلطان لجموع الرعية في الولاية والإقليم الذي يترأسه، ففي حوادث سنة ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م، توجه السلطان الناصر محمد نحو الغربية، وأصدر مرسوما في تلك الرحلة لكاشف الغربية حينها؛ الأمير علم الدين سنجر الخازن[٣]، يطلب فيه منه أن يجمع له من العربان الخيل والهجن[٤] وأن يُجهز الإقامات [٥] ولعل الباعث على ذلك تقوية الجيش، خصوصا وأن الفرنجة كانت تظهر بعض المناوشات من حين لأخر، ففي سنة ٧٣٠ هـ / ١٣٣٠م، وردت على الناصر بعض رسل الفرنجة تطلب بعض بلاد المسلمين! فقال الناصر لولا أن الرسل لا يقتلون لضربت أعناقكم!![٦]

وفي سنة ٨٣٨ هـ/ ١٤٣٤م، كتب السلطان الأشرف برسباي(٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م)، إلى كاشف الصعيد الا يمكنهم من المراعي حتى يأخذ عنها مالاً، فلما غضبوا أرسل إليهم تجريدة عسكرية، تساعد الكاشف على تنفيذ مراسيم السلطنة[٧]

شيخ، ثم استقر حاجب الحجاب، ثم حبس فترة حتى أفرج عنه المؤيد شيخ في سنة ٨٢٠ هـ/ ١٤١٧م، وأنعم عليه وصار من جملة الأمراء مقدمي الألوف بالديار المصرية، وتولى كشف الوجه القبلي إلى أن طلبه الملك المؤيد وأخلع عليه باستقراره في نيابة طرابلس.. ت (٨٢٢هـ/ ١٤١٩م). ابن تغري بردي: المنهل الصافي، جـ ١٥١/٦.

[١]) ابن حجر: إنباء الغمر، جـ١٦٠/٣.

[٢]) المقريزي: السلوك، جـ٢٥٨/٣.

[٣]) سنتعرض له عند الحديث عن الكشاف.

[٤]) الهجين من الخيل، ما كان أبوه عربيا وأمه غير ذلك، وهو بخلاف العربي الأصيل.(ابن عياض) : عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ/١١٥٠م): مشارق الأنوار على صحاح الآثار، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث، جـ٢٦٥/٢.

[٥]) المقريزي: السلوك، جـ١٠٨/٣.

[٦]) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر،جـ١٠١/٤ . ابن الوردي: التاريخ، جـ٢٨٣/٢.

[٧])ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٥/ ٥٧.

المطلب الثاني : اختيار الكشاف ومراسم التنصيب.

كانت عملية اختيار الكشاف، من الأمور التي تستدعي الدقة، خصوصا لما يترتب على توليتهم من أمور جسام، منها ضبط الأمن، وجباية الضرائب، ورد غارات العربان، كما تقدم. وعليه فإن الكاشف كانت له مزايا خاصة، وسمات شخصية يجب أن يتمتع بها، من أهمها:

١- قوة الشخصية والهيبة، والتمتع بالنفوذ والقدرة على الحكم والسيطرة.

٢- حسن السياسة والتدبير.

٣- حسن المظهر، بجانب النفوذ والثراء الواسع.

٤- القوة البدنية، والقدرة على ممارسة العمل، ومباشرة المهام الموكلة إليه وهذا يستدعي خلوه من الأمراض المزمنة، والتي تعوق حركته وقدرته على العمل.

٥- أن يكون أمير طبلخاناه، أو مقدم ألف.

وكان تعيين الكشاف يتم من خلال السلطان مباشرة، لما في ذلك من خطورة، ومسؤولية جسيمة. وكانت تتم مناصب التعيين من خلال الخلعة التي يخلعها السلطان على الكشاف، المختارين من أمراء الألوف أو الطبلخانات .

وكانت تتم المراسم بما يعرف بالتشريف من خلال الخلعة السلطانية التي يخلعها السلطان على من يتولى هذا المنصب.

الخلعة:

في اللغة خَلع الشيء أي نزعة، والخِلْعَةُ، بالكسر: ما يُخْلَعُ على الإنسانِ [١] ومسألة الخلع والتشاريف، من التقاليد القديمة، قدم الحضارة الإسلامية.

فقد خصص ابن الصابئ مبحثا خاصا تحدث فيه عن الخلع والتقاليد، ذكر فيه: "الذي جرت به العادة في خلع أصحاب الجيوش وولاة الحروب: عمامة مصمتة [٢] سوداء وسواد مصمت[٣] بجربان [٤] مبطن الأسفل منه وسواد آخر مصمت بغير جربان،

---

[١]) الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م. ، صـ ٧١٤.

[٢]) المصمت هو الأجوف، وفي الثياب هو الخالي من الزركشة له لون واحد لا تخالطه ألوان أخرى. أبو بكر الأنباري: الزاهر في معاني الكلمات، المحقق- حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢، جـ١/٢٠٣.

[٣]) السواد هو الزي الرسمي لأرباب الوظائف في الخلافة العباسية. انظر النويري: نهاية الأرب، جـ٤/٣٦. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، جـ٢٤/٣٣١. القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٣/٢٩٢.

[٤]) الجربان ، كلمة فارسية معربة، وتعني جيب القميص، أو طوقه. نشوان اليمني: شمس العلوم: جـ٢/١٠٥٩. د رجب عبد الجواد: المعجم العربي لأسماء الملابس، تقديم: محمود فهمي حجازي، الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة – مصر، ط١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م، صـ ١٠٨.

وخز سوسي [١] أحمر ووشي مذهب [٢] وملحم، أو مصمت خجي [٣] وقباء دبيقي [٤] وسيف احتباء [٥] أحمر حليته [٦] فضه بيضاء وقبيعته [٧] على القائم طبرزينته [٨]" ... كما كما تحدث باستفاضة عن خلع الوزير، والندماء وغيرهما من كبار الموظفين [٩]

---

[١]) الخز: الحرير الخام، والسوسي، نسبة لمدينة سوس، وهي إحدى مدن المشرق الإسلامي، وتقع في إيران الحالية.

[٢]) الثوب الموشى هو المنقوش، والمزركش، وموشى بالذهب أي منقوش بخيوط من الذهب، تصنع في قنوات مخصوصة صنعت له وكانت تتم بطريقة النقش البارز أو الحفر الغائر . أبو بكر الأنباري: الزاهر، جـ٢/٢٩٦.

[٣]) لعله يقصد خجندة قال عنها ابن حوقل: متاخمة لفرغانه تقع على نهر شاش، طولها أكثر من عرضها كلها كروم وبساتين، نزهة ودورها متفرقة، بها فواكه حسنة .. ابن حوقل: محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، أبو القاسم (المتوفى: بعد ٣٦٧هـ/ ٩٧٨م): صورة الأرض، الناشر: دار صادر، أفست ليدن، بيروت، عام النشر: ١٩٣٨ م، جـ٢/ ٥١١.

[٤]) القباء كلمة فارسية معربة، عبارة عن ثوب ضيق، يلبس تحت الثوب، مفتوح من الأمام، أما الديبقي نسبة إلى ديبق، قرية قديمة قرب تنيس (بالقرب من مدينة بورسعيد الحالية) ، إليها الثياب المثقلة والعمائم الشرب الملوّنة، والديبقيّ العلم المذهب، وكانت العمائم الشرب المذهبة تعمل بها. ابن المبرد، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي الدمشقي الصالحي المعروف بـ «ابن المبرد» (المتوفى: ٩٠٩ هـ/١٥٠٤م): الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي،المحقق: رضوان مختار بن غربية، الناشر: دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م ، جـ٢/٤٠٣. ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٢/٤٣٧. المقريزي: الخطط، جـ١/٤١٧.

[٥]) الاحتباء والاحتباك في اللغة: شد الإزار، وهو أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بثوب أو غيره. الفاروقي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ / ١٧٤٥م): كشاف اصطلاح الفنون والعلوم، ترجمة عبد الله الخالدي، جورج زيناني، تحقيق علي دحروج، تقديم رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت

ط١– ١٩٩٦م، جـ١/١٦٠. ابن قتيبة: الجراثيم، حققه: محمد جاسم الحميدي، تقديم، مسعود بوبو، الناشر: وزارة الثقافة، دمشق.، جـ١/٣٠٣.

[٦]) الحلية: هيئة زائدة على الهيئة التي لا بد منها، وتكون عبارة عن نقوش وخطوط وزخارف من الذهب أو الفضة يحلى بها السيف، كحلى المرأة. العسكري: الفروق اللغوية، ، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران،الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ، جـ١/١٦٠.

[٧]) قلة السيف، وما كان على طرف مقبضه من فضة أو حديد. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر– بيروت، ط٣ – ١٤١٤ هـ، جـ٨/٢٥٩.

[٨]) الطبرزين؛ أصله تبرزين، والطبرزين الفأس ذات الرأسين، ولعل المراد به هنا نصل السيف. رينهارت: تكملة المعاجم العربية، جـ٧/١٤.

[٩]) هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابئ الحراني، أبو الحسين، أو أبو الحسن (المتوفى: ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م): رسوم دار الخلافة، المحقق: ميخائيل عواد، الناشر: دار الرائد العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٦م، صـ٩٣.

ولا يعني الباحث التعمق في مسألة الخلع وتأريخها، بقدر ما يهمه التأكيد على أن موضوع الخلع والتقاليد الرسمية المتبعة، في تولي الموظفين، كان سمة من سمات الحضارة الإسلامية، توارثتها الدول الإسلامية جيلا بعد جيل، ومنها: الدولة المملوكية.

كما أن الخلعة: ما يخلعه الخليفة أو الأمير أو الملك على أحد الناس من الثياب الفاخرة، وفى الغالب يتألف هذا اللباس من جبة مطرزة وعمامة وطيلسان [١] وسيف إضافة إلى البِدَر البِدَر جمع بدرة [٢]، والدنانير في العصر المملوكي [٣]

والحق إن كتب ومصادر التاريخ والحضارة، أشارت من طرف خفي لتلك المراسم دون التأصيل والتفصيل.

ففي سنة ٧٣٩ هـ/ ١٣٣٨م، خلع السلطان الناصر محمد بن قلاوون على الأمير عز الدين أيدمر وكان كاشفا للوجه القبلي فخلع عليه كاشفا للوجه البحري[٤]

وفي سنة ٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م، خلع السلطان على الأمير علاء الدين علي بن الكوراني [٥] والي الغربية واستقر كاشف الوجه القبلي [٦] وفي سنة ٧٧١ هـ/ ١٣٦٩م، انعم السلطان الأشرف شعبان(٧٦٤-٧٧٨هـ/١٣٦٣-١٣٧٧م) على الأمير ناصر الدين محمد بن إياز الدواداري واستقر كاشف الوجه البحري[٧].

وفي سنة ٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م، خلع السلطان الملك المنصور علي بن الأشرف شعبان(٧٧٨-٧٨٣/١٣٧٧-١٣٨١م) على الأمير شرف الدين موسى بن قرمان أطلسين [٨] واستقر نائب نائب الوجه القبلي ورسم أن يكاتب، بملك الأمراء وأنعم عليه لتقدمة ألف وعمل في خدمته حاجب أمير طبلخاناه وهو أول من ولي من كشاف الصعيد نيابة السلطنة واستمر الحال كذلك فيما بعد وخلع على الأمير علي خان واستقر والي البحيرة [٩]

---

[١] كلمة فارسية الأصل، تعني الثوب الأسود المدور المتخذ من الصوف. الهروي: تهذيب اللغة، جـ١٢/٢٣٤.

[٢] كيس الدراهم والدنانير.

[٣] د رجب عبد الجواد: المعجم العربي، صـ١٥٥.

[٤] المقريزي: السلوك، جـ٣/٢٥٧.

[٥] سبقت الترجمة له.

[٦] المقريزي: السلوك، جـ٣/٢٧٨.

[٧] المقريزي: السلوك، جـ ٤/٣٣٥.

[٨] موسى بن دندار بن قرمان، ولي العديد من المناصب منها كشوفية الجيزة ونيابة الوجه القبلي، وهو أول أول من تلقب بملك الأمراء، كما ولي منصب استادار الذخير، وغيرها من المناصب ت (٧٨٥ هـ/ ١٣٨٣م) . المقريزي: السلوك، جـ٥/٥١. ٥٣.جـ٥/٩٥. جـ٥/١٦٢.

[٩] المقريزي: السلوك، جـ٥/٥٣.

ولعل أهم ما يؤخذ من هذا النص.

١- لقب نائب ولقب كاشف الكاشف وجهان لعملة واحدة.

٢- كاشف الكشاف أو النائب ينبغي أن يكون من الأمراء الألوف أو الطبلخانات، كما مر

٣- للنائب حاجب خاص به وكان من أمراء الأربعين [١] !

٤- إنَ هذا الوالي هو أول وال يُنعم عليه بلقب نائب السلطان بالوجه القبلي.

وفي السنة ذاتها، خلع السلطان على الأمير محمد بن طاجار [٢] واستقر واليا على المنوفية [٣] كذلك كذلك

وفي سنة ٧٨٢هـ/١٣٨٠م، خلع السلطان المنصور علي على الأمير دمردان بن موسى [٤] واستقر أمير طبر [٥] وكاشف الجيزة [٦]

كما خلع على الأمير بكتمر [٧]، أطلسين[٨]واستقر ملك الأمراء بالوجه البحري (بمعنى كاشف الكشاف) ورسم أن تكون إقامته بتروجة وأن يكاتب. بملك الأمراء. فكان أول من خوطب بذلك من كشاف الوجه البحري. [٩]

ويؤخذ من النص المتقدم.

١- إن هذا اللقب ظهر في سنة ٧٨٠ هـ/ ١٣٧٨م، بالوجه القبلي أولا

٢- إن ملك الأمراء تعني كاشف الكشاف

---

[١]) ابن حجر: إنباء الغمر، جـ١/١٧٧.

[٢]) أحد أمراء الطبلخانات في عصر دولة المماليك، ولي كشوفية دمياط والغربية والبهنسى ثم قبض عليه في سنة ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م، وتم نفيه إلى طرابلس، وانقطعت أخباره من بعدها ويبدو انه توفى في منفاه بعدها بمدة وجيزة . السلوك، جـ ٥/٤١. ٥/٧٩.

[٣]) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١،ق٢/٢٢٤.

[٤]) ابن الأمير موسى بن دندار بن قرمان . لم أعثر له على ترجمه سوى أن المقريزي ذكر أنه ولد موسى بن قرمان. السلوك، جـ ٥/٨٦.

[٥]) هو كبير الطبردارية، وهم حملة الفؤوس حول السلطان، وهي إحدى الوظائف الشرفية في بلاط الدولة المملوكية. القلقشندي: صبح الأعشى، جـ ٥/٤٣٤.

[٦]) المقريزي: السلوك، جـ ٥/٨٦.

[٧]) الشريف بكتمر بن علي الحسني، ولي العديد من الولايات والكشوفيات منها قطيا، والبحيرة، والقاهرة، والإسكندرية، ومنفلوط وغيرها من الولايات، كما نفى وجرد من منصبه في سنة ٧٨٦ هـ/ ١٣٨٤م، ثم عاد لولايةة القاهرة مرة أخرى، وكانت أخر اخباره القبض عليه في سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م وسجنه. المقريزي: السلوك، جـ٤/٢٦٨. ٢٨٩. جـ٥/١٦٥. جـ٥/٣٠٣.

[٨]) ثوب من الحرير أو الساتان . رينهارت: تكملة المعاجم العربية، جـ٧/٦٥.

[٩]) المقريزي: السلوك، جـ٥/٩٠. ابن إياس: بدائع الزهور، جـ ١ق٢/ ٢٧٣.

٣ ـ إن كاشف الكشاف ينوب عن السلطان في الإقليم الذى يحكمه، وأن الكشاف والولاة وما يتبعهم عونا له.

٤– إن الخلعة كما أوردها المقريزي هنا عبارة عن ثوبين من الحرير أو الساتان.

وقد تعددت الخلع على الكشاف [١]

وكان من بين أنواع الخلع ما يعرف بخلعة الاستمرار [٢]، وهو بقاء الكاشف أو الوالي في ولايته أو نيابته، وإكرام السلطان له بخلعة سنية، من ذلك أن الظاهر برقوق(٧٨٤–٧٩٠هـ/١٣٨٢–١٣٨٨م) خلع على الأمير يلبغا الناصري [٣] بخلعة الاستمرار في ولاية حلب.

وقد وصف ابن إياس هذا المشهد وصفا دقيقا ، وهو أمر يعد من النوادر في مصادر التاريخ والحضارة حيث يقول[٤]:" ثم أن السلطان برقوق أخلع على الأمير يلبغا الناصري، خلعة الاستمرار على نيابة حلب، ونزل القلعة في موكب حافل، وقدامه الأمراء المقدمين، ومشى بين يديه جنائب [٥] من الخيول السلطانية، بسروج ذهب، وكنابيش[٦] زركش، فلما نزل في المكان الذي أُعد له، دخل عليه السلطان والأمراء، ... فأقام بمصر أياما، ثم أخلع عليه خلعة السفر، وتوجه إلى محل نيابته بحلب"

ويستفاد من هذا النص:

---

[١]) المقريزي: السلوك، جـ٥/١٣٥.

[٢]) انظر ماذكره المقريزي وغيره عن تلك الخلعة فيما يتعلق بالنواب والكشاف والقضاة وكبار موظفي الدولة، وهو يؤرخ بالسنين فيذكر في كل عام حوادثه، ومن بين تلك الحوادث إشارات يتعرض لها أحيانا عن خلعة الاستمرار.

[٣]) يلبغا بن عبد الله الناصري اليلبغاوي نسبة للأمير الكبير يلبغا الناصري المتوفى سنة (٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، أصله من مماليك يلبغا العمري أستاذ الظاهر برقوق، تقلبت به الدنيا فنال السيادة والسعادة ثم تغيرت أحواله وكانت له مع الظاهر برقوق، وقائع نفي فيها وحبس، وكان من أهم أسباب عزله، وسلطنه الناصر حاجي والذى جعله مشيرا في دولته ومدبرا لأمره، ولما عاد الظاهر مرة أخرى، ولاه حلب بعد أمور كثيرة سردها المؤرخون، وكان عاقبة أمره أن قتله الظاهر برقوق في حلب سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩١م، وهو صاحب الحمام العامر بحلب. للمزيد ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ١٢٧/١٢.

[٤]) بدائع الزهور: جـ١،ق٢/ ٣٢٧

[٥]) خيل تقاد أمام السلطان، عليها سروج مخروزة بالذهب ؛كالزّركش وركبها ذهب كل ركاب زنته ألف دينار، وعليها ثياب سروج من الحرير مرقومة بالذهب، ويعبّرون عن الجنائب بالمقادات، وعن ثياب السّروج بالبراقع. القلقشندي: جـ٥/٢٠١.

[٦]) الكنبوش: كلمة فارسية معربة، تعني الخمار والنقاب والبرقع، وكذا تطلق على البرذعة تحت سرج الفرس، وكذا الغطاء واللثام. للمزيد رينهارت: تكملة المعاجم العربية، جـ١٤٨/٩. د رجب عبد الجواد: المعجم العربي لأسماء الملابس، صـ٤٤٠.

١- إن الخلعة كانت لها مكانا خاصا بمقر الحكم بقلعة الجبل

٢- إن الخلعة كانت لها مراسم خاصة، منها اجتماع الأمراء، وأرباب السلطنة لشهادة هذا الحدث.

٣- إن السلطان له تقاليد وأعراف معينة، كمشي الخيل المسومة بين يدية، وتقبيل الأرض وغير ذلك من المراسم الرسمية التي كانت تتم في مثل هذه المناسبات.

وربما أرسلت الخلعة إلى الأمير من السلطان في المكان الذي يحكم فيه، ففي سنة ٧٨٥ هـ/ ١٣٨٣م، أرسل السلطان بخلعة إلى عثمان بن قارة،[١] بأن يستقر أميرا للعرب بديلا عن نصير بن حيار[٢] بن مهنا[٣] وهناك مئات الأمثلة في مصادر التاريخ عن الخلع، التي كانت من عادات السلاطين وتقاليدهم، عند تولية أحد النواب أو الكشاف أو الولاة، إقليما معينا، أو نقله من مكان لأخر، أو استقراره واستمراره فيما هو موكل له، أو إضافة إقليم إلى ما بين يديه.

وبجانب الخلعة كان هناك ما يعرف بالتشريف.

والتشريف ما يعرف في عصرنا المعاصر بالنوط أو الوسام، [٤] وهي عبارة عن ثياب كانت تلبسها السلاطين والأمراء والقضاة والعلماء[٥]

وقد تحدث أبو الفداء [٦] صاحب حماه عن تقليده هذا التشريف بشيء من التفصيل فقال[٧]:

---

(١) فخر الدين عثمان بن قارا بن مهنا بن عيسى بن مهنا، كان شاباً كريماً شجاعاً جميلاً يحب اللهو والخلاعة ومات شاباً، وكانت بينه وبين ابن عمه ناصر الدين بن مهنا عدواه وشحناء، وتولى مكانه كما ذكرت ثم أعيد ناصر الدين لإمارة العرب مرة أخرى بعد وفاة عثمان في سنة ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥. المقريزي: السلوك، جـ ٥/١٦٠. ابن حجر: إنباء الغمر،جـ١/٣٠٩.

(٢) محمد نعير بن حيار بن مهنّا، أمير آل مهنا، مات مقتولا في سنة ٨٠٨هـ/١٤٠٦م، بحلب، وقد نيف على السبعين، وكان شجاعاً جواداً مهاباً إلاّ أنه كثير الغدر والفساد وبموته انكسرت شوكة آل مهنّا وكان الظاهر خدعه ووعده حتى سلم منطاش وغدر به فلم يف له الظاهر بما وعده بل جعل يعد ذلك عليه ذنباً وولي بعده ولده العجل. للمزيد المقريزي: السلوك، جـ ٦/١٨٧. ابن حجر: إنباء الغمر، جـ ٢/٣٥٠.

(٣) ابن إياس: البدائع، جـ١، ق ٢، صـ ٣٣٤

(٤) محمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، صـ ٤٥

(٥) رجب عبد الجواد: المعجم العربي لأسماء الملابس، صـ٢٦٤.

(٦) إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب الملك المؤيد عماد الدين ابن الأفضل بن المظفر بن المنصور تقي الدين الأيوبي السلطان عماد الدين صاحب حماة، مؤرخ جغرافي، قرأ التاريخ والأدب وأصول الدين، واطلع على كتب كثيرة في الفلسفة والطب، وعلم الهيأة. ونظم الشعر، له العديد من المؤلفات منها: هذا الكتاب، المعروف بتاريخ أبي الفداء، وتقويم البلدان، والموازين، وغيرها كان من المقربين للناصر محمد، وجعله ملكا على حماه لا ينازعه في حكمها أحد، فظل بها حتى وفاته في سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م، كان محبا للعلم والعلماء مقربا لهم، يعرف لهم قدرهم، جوادا كريما شجاعا، ويعد كتابه من أفضل المصادر التاريخية خصوصا فيما يتعلق بعصر المماليك البحرية، وتاريخ الشام وحلب على وجه الخصوص، كونها أحد الأسرة الحاكمة، كما أنها كان من الشهود على العصر. للمزيد ابن حجر: الدرر الكامنه، جـ ١/٤٤٣. الزركلي: الأعلام، جـ ١/٣١٩.

فقال[١]: " ولنرجع إلى بقية حوادث هذه السنة، أعني سنة عشر وسبعمائة (٧١٠هـ/١٣١٠م)ولما قاربت حماة ونزلت الرستن[٢]، ألبسني الأمير سيف الدين قجليس [٣] التشريف السلطاني، وهو أطلس أحمر[٤] بطراز زركش فوقاني، وتحته أطلس أصفر، وكلوته وكلوته [٥] زركش وشاش رقم [٦]، ومنطقة ذهب[٧] مصري، وسيف محلى بذهب مصري، وأركبني حصاناً برقياً بسرجه ولجامه، ودخلت حماة بذلك، وقرئ التقليد الشريف بحضور الناس، وأعطيت الأمير سيف الدين المذكور أربعين ألف درهم، وأوصلته بالخلع والخيول، وتوجه من حماة في يوم الأحد التاسع والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة"

ويؤخذ من هذا النص:

١- إن مسألة التشريف والخلع السلطانية من التقاليد العتيقة في دولة المماليك

٢- إن التشريف يتم بالسلطان أو من ينوب عنه، فالأمير سيف الدين كان أحد الأمراء الكبار عند السلطان، وكان يحمل رسائله للنواب والولاة وغيرهم.

٣- تلك الخلعة أو التشريف السلطاني عبارة عن (عباءة كاملة من الساتان، تحتها قفطان، مع عمامة كاملة، مزخرفة بالنقوش والكتابات، مع حزام مذهب، وفرس من أجود الخيول العربية)

---

[١]) المختصر في أخبار البشر،جـ٦٢/٤

[٢]) مدينة سورية قديمة، بها العديد من الأثار، يعتقد أنها كانت مدينة أصحاب الرس الذين أشار إليهم القرآن، تشرف على نهر العاصي وتقع بين حماه وحمص، وهي الآن مدينة واقعة في محافظة حمص بسوريا، بينها وبين حمص نحو ٢٠كم تقريبا . الهروي: الإشارات، صـ١٨. ياقوت: معجم البلدان، جـ ٤٣/٣.

[٣]) سيف الدين قجليس بن عبد الله السلاحدار، أحد أهم أرباب السيف وكبير السلاحدارية ومن خواص الناصر محمد بن قلاوون، شديد البأس عالي الهمة، تزوج بابنة الناصر محمد وظل مكرما حتى وفاته ٧٣١هـ/ ١٣٣١م. المقريزي السلوك، جـ ١٤٧/٣. وانظر اخباره متفرقه في النويري نهاية الأرب، والسلوك للمقريزي.

[٤]) الأطلس في اللغة له معان عدة، منها الثوب الخلق، ومنها: نوع من الحرير أو الساتان وهو المراد هنا. رينهارت تكملة المعاجم، جـ٦٥/٧، مادة طلس

[٥]) لفظ فارسي معربي، تعني القلنسوة أو الطاقية أو العمامة أو غطاء الرأس، وهي من الجوخ عادة، وكانت وكانت تلبس وحدها، أو مصحوبة بعمامة، ولعلها تشبة الشربوش او الطربوش في الدولة العثمانية. رجب عبد الجواد: المعجم العربي، صـ ٤٣٤.

[٦]) أي مرقوم وهو الزخرفة بالكتابة.

[٧]) المنطق هو كل شيء شددت به وسطك، والنطاق أشبه بالإزار فيه تكه كانت المرأة تنتطق به، ومن القاب السيدة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ذات النطاقين، لأنها لما أرادت أن تعلق السفرة شقت نطاقها باثنين، فعلقت السفرة بواحد، وانتطقت بالآخر، والمراد به هنا حزام يُشدُّ على الوسط، ويعبر عنها بالحياصة، ويُلْبسها المَلِك للأمراء عند إلباسهم الخلع. الهروي: تهذيب اللغة، جـ٢٤/٩. رجب عبد الجواد: المعجم العربي، صـ ٤٩٦.

٤- قراءة التشريف أمام الجموع الغفيرة، وكأنه إيذان بتولي الأمير الولاية

٥- رد الهدية أو الخلعة السلطانية بهدية ترسل مع مبعوث السلطنة.

كما أمدنا القلقشندي [١] بطرف عن تلك التشريفات وأنواعها فقال:

إن تلك التشريفات على طبقات ومراتب، منها: ما هو مختص بأرباب السيوف وهو أعلاها رتبة، وأعظمها قدرا، وأرفعها مكانة، وكانت تعطى لأمراء الألوف من النواب والولاة والكشاف وحكام الأقاليم وغيرهم من أرباب السيوف، عبارة عن: "فوقانيّ أطلس أحمر بطرز[٢] زركش مفرّى بسنجاب [٣]، بدائرة سجف[٤]من ظاهره مع غشاء قندس [٥]، وتحته قباء أطلس أصفر، أصفر، وكلوتة زركش[٦] بكلاليب[٧] ذهب، وشاش رفيع موصول به طرفان من حرير أبيض، مرقومان بألقاب السلطان مع نقوش باهرة من الحرير الملوّن، ومنطقة ذهب مركّبة على حاشية حرير تشدّ في وسطه؛ ويختلف حال المنطقة بحسب المراتب.

---

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٤/٥٤.

(٢) الطرز: فارسي معرب، ويعني البز والشكل والهيئة، وكذلك ما نسج من الثياب السلطانية، وهو اسم للجيد من كل شيء، ويقصد به هنا التزيين والنقش. ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، جـ ١٩/٩، مادة طرز

(٣) مفري بمعني ملفوف، وتأتي كذلك بمعني التبطين، فتقول: فرى الثوب: بطنه بفرو "معطف مفرى– فرى فرى الجبة لينعم بالدفء ، والسنجاب حيوان معروف، أكبر من الفأر، تتخذ من جلوده الفراء، وأفضله الأملس. الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية،جـ٤٢/٣، مادة سجب . أحمد مختار وآخرون: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، جـ١١٤٥/٢،مادة سيجار، ومادة فرو

(٤) السجف في اللغة الستر، وهو اسم لما يركب على حواشي الثوب. الزبيدي: تاج العروس، جـ٤١٤/٢٣.مادة سجف.

(٥) حيوان قارض من الفصيلة القندسية كث الفراء، والمقندس هو المكسو بفراء هذا الحيوان. رينهارت: تكملة المعاجم العربية، جـ٣٩١/٨، مادة قندس، رجب عبد الجواد: المعجم العربي، صـ ٤٠٦.

(٦) التطريز بخيوط من ذهب، وهو الحرير المنسوج بالذهب. رينهارت: تكملة المعاجم العربية، جـ١٩٠/٢، مادة جركش. أحمد مختار: معجم اللغة العربية، جـ٩٨٣/٢، مادة زركش

(٧) مفردها كُلاب، ومعناها الإبزيم، أو المشبك أو الشريط الملتصق بكلوتة السلطان، فقد كان السلطان المملوكى يرتدى كلوتة صفراء، يحيط بحافتها شريط أو بند يطلق عليه اسم: تضريب، وأبازيم يطلق عليها اسم: كلاليب؛ وتُلبس دون العمامة، ولعلها تشبه الآن العروة من المعدن أو غيره في طرف الحزام تصل الطرفين بعضهما ببعض. رينهارت: تكملة المعاجم، جـ ١٢٤/٩، مادة كلب، رجب عبد الجواد، المعجم العربي، صـ ٤٣١.

فأعلاها أن يعمل من عمدها بواكير[١] وسطا ومحبسين، مرصّعة بالبلخش [٢] والزّمرّد واللّؤلؤ، ثم ما كان ببيكارية واحدة من غير ترصيع، فإن كان التشريف لتقليد ولاية مفخّمة، زيد سيفا محلى بذهب وفرسا مسرجا ملجما بكنبوش زركش؛ وربما زيد أكابر النوّاب كنائب الشام تركيبة زركش على الفوقاني، وشاش حرير سكندريّ مموّج بالذهب، ويعرف ذلك بالمتمر، .... ودون ذلك من التشاريف أقبية طرد وحش [٣] من عمل الإسكندرية ومصر والشام، مجوّخ: جاخات [٤] مكتوبة بألقاب السلطان، وجاخات صور وحوش أو طيور صغار، وجاخات ملوّنة مموّجة بقصب مذهب [٥]، يفصل بين جاخاته نقوش، يركب على القباء طراز زركش، وعليه السنجاب والقندس كما تقدّم، ....،ثم للتشاريف أماكن: منها إذا ولي أمير أو صاحب منصب وظيفة فإنه يلبس تشريفا يناسب ولايته التي وليها على حسب ما تقتضيه الرتبة علوّا وهبوطا، هذا بجانب الأعياد والمناسبات وغيرها.

ومما سبق يمكن القول:

١- إن التشريفات والخلع مرادفات لمعنى واحد، ملخصة إنعام من السلطان على الأمير المنوط به حكم إقليم معين، كنوع من إضفاء الشرعية، وإكسابه المهابة والجلال والوقار أمام الرعية.

٢- تنقسم تلك الخلع إلى أقسام، ولعلها تشبه الرتب الآن، بيد أن الرتب مجرد شارات ونياشين توضع أعلى الملابس، أما الخلع فنوع الملبوس نفسه، يختلف من رتبة لرتبة.

---

(١) بيكارية، جمعها بواكر وبواكير، رصيعة، صحيفة معدنية ولعلها سميت بذلك لأنها كانت على شكل دائرة خطت بالبركار، وتشبه الآن مشبك الحزام (توكة الحزام). رينهارت: تكملة المعاجم العربية، جـ١/٥٠٧، مادة بيكار

(٢) معدن نفيس، ويسمى اللعل، أصله من بلخشان أو بدخشان بطخارستان، إحدى أقاليم خراسان، وذكره رينهارت بأنه الياقوت الوردي. القلقشندي: صبح الأعشى، جـ ١١١/٢. الزبيدي: تاج العروس، جـ٧٠/١٧، مادة بذخش، رينهارت: تكملة المعاجم العربية، جـ٤١٩/١، مادة بلخش.

(٣) أو الطرز وحش: قباء من الحرير المخلوط بالذهب؛ وهو مُقصَّب؛ أي مخطط كالحمار الوحشى، وقيل: يشتمل على رسوم ومناظر صيد، وهو مزين بأشرطة كتابة بألقاب السلطان، يفصل بين هذه الأشرطة نقوش، وكان يُعمل بدار الطراز التي كانت في الإسكندرية والقاهرة ودمشق، وكما كان من الخلع التي يخلعها أمراء المماليك على أرباب السيوف والأقلام والعلماء، رينهارت: تكملة المعاجم، جـ٣٦/٧، مادة طرد. رجب عبد الجواد: المعجم العربي، صـ ٣٠٣

(٤) لفافة أو عصابة من الجوخ، والجوخ سيج من صوف صفيق يكتسي به.رينهارت: تكملة المعاجم العربية، جـ٣٢٨/٢، مادة جوخ.

(٥) سلوك من الذهب أو خيوط من الذهب، محاط بخيط من الحرير أو الكتان، وهو الثياب الناعمة من الكتان، وما كان مستطيلا من الجوهر، والمطرز بخيوط الذهب والفضة . رينهارت: تكملة المعاجم العربية، جـ٢٨٧/٨، مادة قصب. رجب عبد الجواد: المعجم العربي، صـ ٣٩٣.

٣- كانت تلك الخلع السلطانية عبارة عن ملبس كامل، من أجود الأنواع، يكسو الداخل والخارج، روعي فيه الفن والصنعة والدقة، منقوش بنقوش وسلوك من الذهب، ومرصع بأنواع الأحجار الكريمة التي تختلف من رتبة لرتبة، بجانب سيف مذهب وفرس مسرج، وعمامة مذهبة، حتى العمامة وحزام الوسط رُوعي فيهم أدق التفاصيل.

والمصادر التاريخية تعج بالإشارة لمثل هذه التقاليد، عند تولي الأمراء والنواب والكشاف[١] وقد فصل ماير[٢] القول وشرح ما ذكره القلقشندي كما يلى مختصرا:

١- الطبقة الأولى ولهم الأطلس الأحمر، على اعتبار أنه أفخم الأنواع، تحته أطلس أصفر، وكان الكساء محلى بالنقوش والخطوط والسلوك من الذهب، ومبطن بفرو من فراء القندس وعمامة مرقومة بالقاب السلطان، بجانب فرس ملجم بلجام من ذهب وسرج من أفخر الأنواع

٢- الحذاء في وسط الأمير له دلالة على الرتبة والمكانة فما كان من بواكير مرصعه بالبلخش (الياقوت) والزمرد واللؤلؤ فهو الأعلى، يليه ما يشتمل على ببيكارية واحدة مرصعة، ثم النوع الأخير والأقل وهو ما يشتمل على ببكارية غير مرصعة.

٣- أما النوع الأدنى فهو ما يعرف بطرد وحش وهو نوع من الثياب المصنوعة بدار الطراز بالإسكندرية والقاهرة ودمشق، كما تقدم، مزدان بأشرطة من القماش مكتوب عليها ألقاب السلطان.

هذا بجانب الإنعام عليه بخيل مسومة واقطاعات وأموال، كان في مقابلها يرد لخزانة السلطان أضعافها مضاعفة !!

وبعد الحديث عن التقاليد المتبعة في تعيين الأمراء الكشاف والولاة، كما تقدم بقي أن أشير إلى العقوبات التي يتلقاها هؤلاء الكشاف، حال مخالفتهم أمر السلطان، أو صدور ما يوجب عقابهم.

---

[١]) انظر مثلا: المقريزي السلوك، جـ ١٧٨/٤؛ ٢٨٧؛ ٦/ ١١١؛ ٢٠٥؛ المقفى الكبير، جـ٣٠١/٢؛ ٣٣١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ٧٢/١٣؛ ٨٨؛ ٢٦٦. وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

[٢]) الملابس المملوكية، ترجمة صالح الشيتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م، صـ ١٠٥

المطلب الثالث : عقوبات الكشاف:

كان الغرض الرئيس من تعيين الكشاف، إحكام قبضة السلطنة على المناطق البعيدة عن مقر الحكم، سيما أن مسألة ارتياد تلك البقاع، لم يكن بالأمر المتيسر كما هو الحال الآن، وخصوصا المناطق النائية، كالثغور وبلاد الشام، والحدود مع المغرب، وهكذا.

ومن ثم فإن عملية التدقيق والتحقيق في شخص من يتولى هذا المنصب، كانت من أولويات السلطنة، لخطورة تلك المهن، ومهامها الجسام كما مر بنا.

وكان التلويح بالثواب والعقاب، من الأساليب التي انتهجتها السلطنة مذ أن اخترعت تلك الوظيفة! فالإنعام والتكريم والتوقير والتبجيل، والخلع، مع القصور الفارهة، والجواري الحسان، والغلمان الملاح، والإقطاعات، والخيل المسومة والأنعام والحرث، كانت من نصيب من يُنعم عليه بتلك الوظيفة المرموقة!

وفي المقابل فإن السلب، والتسمير، والسجن والضرب والتوبيخ من نصيب من يخالف أمر السلطان، أو يأتي بما يعكر صفو السلطنة ويفتح عليها أبوابا من الفتن، كانت قد سدتها بتولي هؤلاء الكشاف!

فكما ذكرنا أن من مهام الكاشف ضبط الأمن، ورد الغارات من العربان وغيرهم، وجمع الأموال، ومباشرة الأعمال، فإن قصر أو ساءت سيرته، حتى تزكم منها أنوف السلطنة، وتقض مضجعها، إلا وكان العقاب مصيره، والسجن مآله.

وأشهر الذين عوقبوا بالسجن أرغون الكاشف المتقدم ذكره، وكذا اسندمر [١]، كاشف الوجه القبلي، الذي قُبض عليه في سنة ٧٥١ هـ/ ١٣٥٠م، وفي ذات الوقت عوقب ناصر الدين محمد بن الدواداري،[٢] متولى الغربية والمحلة، وأُلزم بغرامة بلغت مائة ألف درهم [٣]

وفي سنة ٧٨٦ هـ/ ١٣٨٤م، ضُرب الأمير بهادر[٤] كاشف الوجه القبلي ستين

---

[١]) أسندمر مملوك أزدمر الأعمي احد كشاف الوجه القبلي والبحيرة وغيرهما من الكشوفيات، كان في الأصل مملوكا لأزدمر الكاشف المعروف بالأعمى ت تقريبا في سنة ٧٥٣ هـ/ ١٣٥٢م. السلوك،جـ ١٥٣/٤.

[٢]) ناصر الدين محمد بن فخر الدين أياز الدواداري أحد أمراء الطبلخاناه، ولي العديد من المناصب، مثل كشوفية الوجه البحري، والغربية، والمحلة، ونقابة الجيش، ومنح وعوقب بالسجن ثم أنعم عليه وعاد للحبس حتى مات سنة (٧٩٩هـ/ ١٣٩٧م) المقريزي: السلوك، جـ٥/٤٠٤. ابن شاهين نيل الأمل في ذيل الدول، جـ٥٣/٢.

[٣]) المقريزي: السلوك، جـ١٢٤/٤.

[٤]) سيف الدين بهادر بن عبد الله الرومي، المنجكي نسبة للأمير منجك اليوسفي، أحد خواص الظاهر برقوق، وكبار رجال دولته، تولى العديد من المناصب مثل الكشفية، والاستادارية، ت ٧٩٠ هـ/ ١٣٨٨م ، ومن آثاره وعمارته تجديده لدار بهادر المنصوري أحد مماليك المنصور قلاوون، بجوار المشهد الحسيني، وعمر بجانبها حماما، بيد أن هذا كله قد دثر، كان خيراً، يواسي الفقراء؛ ويحسن إلى الغرباء. وكانت له صدقات كثيرة، عارفا بأحوال السياسة خبيرا بدوائر الحكم . المقريزي: السلوك، جـ ٢١٣/٥. الخطط، جـ ١٢٤/٣. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، جـ ٤٣٥/٣.

شيبا[١]، ثم خلع عليه وأستمر في الكشف![٢]

وفي سنة ٧٩٥ هـ/ ١٣٩٣م، قبض على الأمير ناصر الدين محمد بن محمد بن أقبغا آص [٣] كاشف الجيزة وضرب بالمقارع لشكوى الفلاحين منه، فقد كان سيء السيرة قبيح الفعال، يفجر بالنساء والغلمان، يأكل أموال الفلاحين بالباطل، فأُخذ وضُرب بالمقارع، تقريعا له على أفعاله[٤]

وفي سنة ٨٠٢هـ/ ١٤٠٠م، قبض الناصر فرج بن برقوق (٨٠١-٨٠٨هـ/ ١٣٩٩-١٤٠٥م) على الأمير يلبغا السالمي[٥]

ولم تقتصر العقوبة على الضرب وحسب، بل تعداه إلى عقوبات أخرى مثل: النفي، فمن الذين عوقبوا بالنفي الأمير محمد بن طاجار والي الغربية وذلك في سنة ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م،[٦] وكذلك وكذلك الأمير الأمير تنكز بغا[٧] في سنة ٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م، حيث تم نفيه إلى مدينة قوص[٨]

وفي سنة ٧٩٩ هـ/ ١٣٩٧م، تم نفي والي دمياط إلى قوص [٩] وفي سنة ٨٧٩هـ/ ١٤٧٥م، ١٤٧٥م، أمر السلطان قايتباي بتوسيط[١٠] كاشف البحيرة، خشقدم الزينبي[١١]، لمستحقات

---

[١] اسم من أسماء السوط أو الكرباج . أحمد تيمور: معجم الألفاظ العامية، جـ٢٠٥/٥، مادة كرباج.

[٢] المقريزي: السلوك، جـ١٦٨/٥. ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١/ق٢، صـ٣٥٠.

[٣] أحد أمراء الطلبلخانات، وكبار الأمراء، والاستادارية في الدولة المملوكية، تقلبت به الأحوال، بين إنعام وإحجام، ومنح ومنع، فولي مشدية الدواوين والاستادارية، وكشفية الجيزة، وغيرها من المناصب، وقد انقطعت أخباره من عام ٧٩٥ هـ/ ١٣٩٣م. للمزيد المقريزي: السلوك، جـ ٢٨٢/٥. ٢٨٥. ٢٩٥. ٢٩٩. ٣٠٩. ٣٢١، ٣٣٦.

[٤] المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، جـ٣٣٦/٥

[٥] يلبغا بن عبد الله السالمي كان من مماليك الظاهر برقوق، وصار خاصكيا له ولي العديد من المناصب، منها: نظر الخانقاة الصلاحية، وذلك في سنة ٧٩٧ هـ/١٣٩٥م، كما ولي منصب استادار السلطنة، كما ولي الكشوفية، ونظر الخانقاة الشيخونية، وتقلبت به الأحوال، فكان ممن خلط عملا صالحا وأخر سيئا، فسجن بسجن الإسكندرية، كما سجن بسجن دمياط، وكانت حياته ما بين منح وسلب، وتضييق وتوسيع، وأفراح وأتراح، كان محبا للعلماء، موقرا لهم، ثم سجن في أخر حياته وقتل بمحبسه سنة ٨١١ هـ،/ ١٤٠٨م . المقريزي: السلوك، جـ ٣٧١/٥؛ جـ٤٥٧/٥. ابن حجر: إنباء الغمر، جـ٤١٧/٢. مسعد سيد الكتبي: الأمير المملوكي يلبغا السالمي: حياته وجهوده ت ٨١١ هـ ١٤٠٨م، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة جامعة الأزهر، ع ٣٥، ٢٠١٦م.صـ ٩٣١.

[٦] ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١،ق٢،صـ ٣٥٥.

[٧] لم اعثر له على ترجمه سوى شذرات في كتاب السلوك للمقريزي ومن أخباره أنه ولي كشوفية البهنسا ثم ثم نفي سنة ٧٩٢ هـ/ ١٣٩٠م، ولم يظهر مرة أخرى على مسرح التاريخ. السلوك، جـ ٢٩٤/٥.

[٨] المقريزي: السلوك، جـ٢٩٤/٥.

[٩] ابن حجر إنباء الغمر، جـ٥٢٣/١.

[١٠] التوسيط: قطع الشيء نصفين، وهو طريقة للقتل تشبه الإعدام، فكان الرجل يعلق إلى عروسه أو آله تعذيب ويربط من أطرافه الأربعة، ويشد بواسطة سلاسل حديدية حتى تقطع أوصاله.

[١١] خشقدم الزيني كان من الكشاف والمباشرين ولم ترد له ترجمة وافية. انظر السخاوي: الضوء اللامع، ١٧٤/٣.

عليه للخزانة السلطانية لم تستوفِ بعد[١]

وفي سنة ٨٨٥هـ/١٤٨١م، ضرب السلطان قانم الأشرفيّ [٢] الذي كان كاشف الشرقيّة، ضربا مبرحا، وأمر بنفيه إلى طرسوس [٣]

والحق إن مسألة عقوبات الكشاف أشارت إليها المصادر التاريخية، مما يؤكد أن الهدف الأسمى، لعمل الكشاف جمع المال، وفرض الأمن في الأماكن التي بأيديهم، فإن حدث خلل في تلك المنظومة يعاقب الكاشف بحجم الجرم، والاثم إما بالسجن أو النفي أو الضرب، أو الغرامة، وإما بجمع بعض العقوبات مع بعض، كالحبس والنفي مع الغرامة!!

الهيئة المعاونة للكاشف

لم يكن الكاشف وحده ليستطيع بأن يقوم بتلك المهام الجسيمة دون مجموعة من الخولة والمعاونين، كل فيما وكل إليه، ومن هؤلاء الهيئة الكبيرة التي كانت تعاون الكشاف نذكر:

المستوفي

إحدى الوظائف المهمة والمرموقة في الحضارة الإسلامية، وهي وظيفة يُعنى صاحبها في المقام الأول بمراقبة الموظفين، وحساباهم، ومراجعة أعمالهم، بجانب تنظيم الحسابات، ومعرفة الوارد والصادر، وجباية الضرائب وتحصيلها من كل قطر وصقع وإقليم[٤] وعليه فقد تنوعت تلك الرتب والألقاب، ولم تقتصر الدولة على مستوف وأحد، بل كانوا عدة من الموظفين، يرأسهم مستوف أكبر!!

وقد تعرض ابن فضل الله العمري[٥] لتلك الوظيفة بقوله: " فهو المهيمن على الأقلام، والمؤمن على مصر والشام، والمؤمل لما يكتب بخطه من كل ترتيب وإنعام، والملازم لصحبة سلطانه في كل سفر ومقام؛ وهو مستوفي الصحبة، والمستولي بالهمم على كل رتبه، والمعول على تحريره، والمعمول بتقريره، والمرجوع في كل الأمور إلى تقديره. به يتحرر كل كشف، ويكف كل كف، وبتنزيله وإلا ما يكمل استخدام ولا صرف؛ وهو المتصفح عنا لكل

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور،جـ١،ق٢،صـ ١٠٥.

(٢) أحد أحد مقدّمي الألوف بحلب، ودوادار السلطان بها أسيرا في سنة ٧٨٣ هـ/ ١٣٨١م. ابن اياس: بدائع الزهور، جـ٣/ ٢١.

(٣) ابن شاهين: نيل الأمل، جـ٢٥٢/٧. ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١٦٤/٣.

(٤) رينهارت: تكملة المعاجم العربية، جـ ٨٩/١١.

(٥) التعريف بالمصطلح الشريف: تحقيق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م، صـ ١٥٢.

حساب، والمتطلع إلى ما حضر وغابن والمناقش لأقلام الكتاب،... والمظهر للخبايا، والمطلع للخفايا، والمتفق على صحة ما عنده إذا حصل الخلاف، ووصل الأمر فيه إلى التلاف....."

ثم تعرض لطبيعة عمله فذكر أن من مهام عمله:

١- توزيع الأعمال على الكتاب والمباشرين.

٢- توزيع جدول الأعمال المقررة من لدى السلطان فيما يتعلق بالمكوس والضرائب وما في حكمهما.

٣- توزيع الأرض ومعرفة المحاصيل بمعنى توزيع الأرض على تلك المحاصيل بما يتؤام مع نوع التربة وكمية المياة [١]

كما تعرض النويري[٢] لمهام المستوفي وتعريفة وتعرض النويري لمهام تلك الوظيفة وذكر منها:

" ويلزم المستوفى ضبط مياومة [٣] المجلس، وكتابة الكشوف بخطّه؛ والتذاكر ونسخ المحرّرات، وتعيين الجهات لأربابها بعد كتابة الناظر بتعيين الجهة، وعليه نظم جوامع التقدير بعد عمل موازينها وتحريرها وشطبها على التقادير الصادرة عن المباشرين وجوامع الحواصل: من العين والغلال والكراع [٤] والأصناف المعدودة والموزونة والمزروعة والسلاح خاناه والعدد والآلات وغير ذلك ... [٥]

ومن هذا النص يتضح مدى أهمية المستوفي، كعامل مساعد وفعال للكاشف، حيث يقوم بضبط الأعمال اليومية، ومباشرة الأعمال الكتابية، وتعيين كل جهة من الجهات للمباشرين والخولة، وجمع متحصلات الأرض، مع أعمال أخرى تتعلق بدار السلاح والخزانة السلطانية!

وحتى يتضح المقال لا بد من ذكر المثال:

في سنة ٧٢١هـ/ ١٣٢١م، علت المياه أرضا لم تكن تطأها من قبل، وذلك بسبب المشاريع والقناطر التي أنشأها الناصر محمد في البحيرة وفي ربوع مصر كلها، ورأي الأمير ركن القلنجقي أن يحدث السلطان في اقتطاع جزء من تلك الأرض الجديدة التي تكونت بفضل

---

[١] ابن فضل الله: التعريف بالمصطلح الشريف، صـ١٥٣.

[٢] نهاية الإرب في فنون الأدب: جـ٨/٣٠١.

[٣] المياومة من اليوم، والمقصود بها هنا اليومية

[٤] اسم لجميع الدواب، وقيل بل هو خاص بالخيل وقيل هو الخيل والبغال والحمير. للمزيد الزبيدي: تاج العروس، جـ ٢٢/١١٧. مادة كراع.

[٥] نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ٨/٣٠٣.

تلك الزيادة في الماء، وأن يجعلها لولده، وقدرها عشرة أرماح[١] فندب السلطان مستوفي الدولة، مع الأمير أيتمش المحمدي[٢]، لكشف تلك الأرض وقياسها ... [٣]

ومن خلال هذا النص يتضح مدى أهمية عمل المستوفي بالنسبة للكاشف، فيما يتعلق بالقياس والكشف، ومعرفة نوع الأرض ومدى جودتها وغيره من الأمور المتعلقة بعمل الكشاف.

وحين تطرق المقريزي [٤] لأحكام السياسة في دولة المماليك فذكر وظيفة ناظر النظار أو ناظر الدولة [٥]، وبين أن تلك الوظيفة تلي الوزارة، وتحل محلها في حين خلو كرسي الوزارة، الوزارة، وكان ناظر الدولة، بمثابة الوزير طوال سني حكم الناصر محمد بن قلاوون، وكان يعاون ناظر الدولة عدد من المستوفين، على رأسهم مستوفي الصحبة[٦] يلي ناظر الدولة أو أو مشير الدولة ديوان أخر عرف بديوان النظر[٧] من أرفع دواوين السلطنة، تنبثق منه دواوين المالية في سائر أرجاء السلطنة، يمثل عن تلك الدواوين بمجموعة من المستوفين كل في مكانة وكشوفيته وإقليمه، وعمل هذا الديوان بموظفيه يتلخص فيما يلي:

---

[١]) وحدة قياس تساوي ثلاثة أبوع والباع حوالي ٣ م مما يعني أن الرمح يساوي ٩م . ابن الفقيه البلدان، صـ ٥٥٢. فالتر هنتس، المكاييل، صـ٨٢.

[٢]) الأمير سيف الدين أيتمش المحمدي، أحد أمراء المائة ومقدمي الألوف في دولة المماليك، كما كان من الطبلخانات، أصله من مماليك المنصور قلاوون ثم صار من أتباع ولده الناصر محمد، وكان ممن تبعه في منفاه في الكرك، وكانت له بطولات وصولات مع الناصر أثبت فيها كفاية وجدراه، وكان السلطان إذا جلس عنده الأمراء في خلوة وتذاكروا سير بعضهم بعضا يقول: اذكروا أيتمش، فإنّه كان ميمون الغرّة ما سيّرته في أمر إلّا قضاه ولا وقف في حرب إلّا وانتصر. ت ٧٣٦ هـ/ ١٣٣٥م. المقريزي: المقفي الكبير، جـ ١٩١/٢.

[٣]) المقريزي: السلوك، جـ٧٤/٦.

[٤]) المقريزي: الخطط، جـ٣٩٠/٣.

[٥]) ناظر الدولة إحدى الوظائف المرموقة التي تلي منصب الوزارة، ويوقع صاحبها مع الوزير؛ تبعا له، وتوزع المهام بينهما فإن كان الوزير من أرباب السيف، كان ناظر الدولة هو المتحدث في أمر الحسابات، ويقتصر دور الوزير على النظر والتنفيذ. القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٢٩/٤.

[٦]) وظيفة مرموقة جدا في البلاط المملوكي، لصاحبها اليد الطولى في جميع أقطار المملكة شرقا وغربا، يكتب المراسيم ثو يوزعها على العمال بعد توقيع السلطان عليها، وهي الوظيفة الثالثة أو الرتبة الثالثة في الدولة بعد الوزارة والنظارة. ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، صـ ١٥٢؛ مسالك الأبصار، جـ٤٥٧/٣.

[٧]) أحد أهم دواوين المالية في الدولة المملوكية، بل هو الأهم، يتولى النظر عليهم، وله العزل، والولاية، ومن يده عرض الأوراق في أوقات معروفة على الخليفة أو الوزير، وله حاجب، وهو أعلى الدواوين راتبا، حيث إن راتب متولي ديوان النظر كان سبعين ديناراً في حين أن متولي ديوان التحقيق مثلا: راتبه خمسين ديناراً. القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٦٠٠/٣. المقريزي: الخطط، جـ٢٧٦/٢.

١- ضبط حسابات القطر ومعرفة الصادر والوارد.

٢- توزيع الرواتب على الموظفين ومن في حكمهم كل في مكانه.

٣- توزيع تلك الرواتب ومعرفة الفرق بين ما يصرف يوميا ولمن يصرف وما يصرف شهريا وما يصرف سنويا، حيث إن الوزير يتقاضى مائتين وخمسين ديناراً في الشهر، مع اللحوم يوميا، مع الخبز والطعام والعلف للدواب والخيل، بخلاف ما يُصرف في شهر رمضان من حلوى وغيره.

المشد :

أو الشاد، بتشديد الشين، وظيفة تعني التفتيش والمراقبة، وإدارة العمل، وصفها رينهارت[١] بقوله: وظيفة في مصر، تطلق على من يتولى نقل الأوامر؛ من وكيل السلطان، إلى رؤساء القرى وعمدها. وكانت طائفة المشدية من الطوائف والوظائف السنية في عصر دولة المماليك، تتنوع بتنوع الدواوين والمهام في مصر، فهناك مشد الدواوين أو شاد الدواوين، ومهمته مساعدة ناظر المال، والنيابة عنه، في تحصيل المال وصرف النفقات[٢] وكان غالبا من أمراء العشرات [٣] [٣] وهناك شاد أو مشد العمائر، وأحيانا يضاف إليه لفظ السلطانية، إن كانت العمائر المختص بها هي عمائر السلطان، أو على اعتبار أن كل العمائر التي تبنى في الدولة سواء من الخزانة العامة، أو من مال السلطان الخاص، أو من مال الأمراء والأعيان وكبار رجال الدولة، إنما كلها ترجع للسلطان، باعتباره الحاكم.

وكانت مهمة هذا الرئيس أو الموظف، رئاسة الأعمال العمرانية التي تتم في ربوع الدولة، من منشآت دينية ومدنية وجسور وقناطر، وترع وغيرها من العمائر، ومباشرة العمال، ومراقبتهم، وتحديد أجورهم ورزقهم.[٤]

ولعل من أشهر من ولي هذا المنصب الأمير أقبغا عبد الواحد[٥] صاحب المدرسة

---

[١]) تكملة المعاجم العربية، جـ٦/٢٧٦. مادة شاد.

[٢]) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٤/٢٨.

[٣]) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٤/٢٣.

[٤]) السبكي: معيد النعم ومبيد النقم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م، صـ١٠٠ صـ١٠٠

[٥]) الأمير آق بغا عبد الواحد بن بدال، علاء الدين الاستادار قدم به التاجر عبد الواحد بن بدّال فاشتراه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وجعل اسم تاجره لقبا له. وحظي عنده وعمله من جملة الجمداريّة. ثمّ أقامه شادّ العمائر فنهض بما ندب إليه منها وقام به أتمّ قيام، زادت به مكانته وعظمت مهابته، كان من أكابر الأمراء عرف بشدة البأس والجبروت، وهو صاحب المدرسة بالأزهر المعروفة بالاقبغاوية، وكان محلها قديما بيت الأمير عز الدين أيدمر الحلي، مات مقتولا بسجن الإسكندرية، في سنة ٧٤٤ هـ/ ١٣٤٣م. للمزيد المقريزي: المقفي، جـ ١٤٧/٢. الخطط، جـ ٢٣٢/٤.

الأقبغاوية، المجاورة للجامع الأزهر

كما أن المشدية كانوا بمثابة العونة والنواب للكشاف، وكان منهم من يتولى رئاسة الدوائر الأدنى، في الكشوفيات فمثلا: كشوفية مثل الغربية أو البحيرة أو الجيزة تنبثق عنها، نيابات أو ولايات أصغر تشبه المراكز والقرى الآن، وكان على رأس كل دائرة من تلك الدوائر مشد أو والٍ، يتبع الكاشف.

ولعل من أشهر الذين تولوا منصب المشد الأمير نجم الدين ابن الزيبق[١] أحد أمراء العشرات، وأحد أهم من تولى منصب المشد، ولي منصب شاد الدواوين بحمص، ثم شد الأوقاف بدمشق، ثم مشد الدواوين بدمشق، ثم ولي منصب مشد الجبل وغزة والساحل ببلاد الشام، ثم أستدعاه الناصر محمد إلى مصر؛ فولاه ولاية مصر بالإضافة إلى شد الجهات... وأصبح أمير طبلخاناة، كما تولى شد الجيزة وكشوفيتها، وفي أيام الصالح ابن الناصر تولى شد الخاص المرتجع عن العربان بالشام وصفد وحمص وحلب وحماة وطرابلس [٢]

ولعل من أهم ما يؤخذ من هذا النص المتقدم:

١- المشد احد أعوان الكاشف، بدليل أن ابن الزيبق تولى مشد الجيزة وغيرها من الأقطار.

٢- تعدد وتنوع دور المشد، باعتبار أن وظيفة المشد من أهم الوظائف في العديد من قطاعات الدولة.

٣- للمشد صفات وسمات خاصة، ولعل تلك السمات والصفات جعلت من ابن الزيبق مشدا في أكثر من مكان وأكثر من مؤسسة وجهة.

وفي سنة ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٨م، لما اراد السلطان عمل الجسر كما تقدم كلف بتلك المهمة أسندمر الكاشف، ومعه شاد العمائر، الذى استدعى بدوره، العمال والرجال، والأبقار والجراريف والمحاريث، وكل ما يلزم لعمل الجسر[٣]

وفي سنة ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧م، صدر مرسوم سلطاني؛ الا يكون في كل جهة إلا شاد واحد، وعامل، وشاهد [٤]

نص أخر يورد المقريزي[٥] يوضح لنا صورة للوظائف التي كانت موجودة في الأقاليم بجانب

---

[١]) سيأتى الحديث عنه مفصلاً

[٢]) الصفدي: الوافي بالوفيات، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م. ، جـ١٣/٢٨٩.

[٣]) المقريزي: السلوك،جـ٤/٧٣.

[٤]) المقريزي: السلوك، جـ٢/١٤٣.

[٥]) السلوك: جـ٢/١٧٢.

بجانب الكشوفيات، حيث يذكر في حوادث سنة ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م، قُبض على ناظر الدولة، والمستوفيين، وألزموا بغرامة قدرها خمسمائة ألف دينار!!، خُفضت بعد وساطة بعض الأمراء حتى وصلت خمسمائة ألف درهما!، تمت جبايتها من المباشرين والشهود والكتاب والشادين ونحوهم!

قلت: والشاهد في هذا النص التعرض لتلك الوظائف التي كانت منتشرة في ربوع مصر، وقراها ونجوعها، تنوب عن الكشاف، وعن الدواوين السنية في مصر المحروسة، مهمتها مراقبة، العمل عن كثب، وجمع الضرائب، وجباية الأموال، وتنفيذ مشروعات السلطان.

ومن المناصب التي كانت موجودة كذلك ولها علاقة بعمل المشدية.

شاد الدواليب

الدولاب كلمة فارسية متعددة المدلولات، ويقصد بها السقاية، وهي كلمة فارسية الأصل ويشار بها إلى النواعير، أو المجاديف لنقل الماء من المجاري المائية إلى الأرض. [١]

كما يشار للدواليب بأنها الآت الغزل والنسيج، وكذلك تطلق كلمة دولاب على معاصر أو مصانع السكر، [٢] وقد تعرض علي مبارك[٣] لتلك المهنة، عند تناوله لقرية من قرى الصعيد تعرف بالبلاص [٤]، وقال: من مدن قنا، على الجانب الغربي لنهر النيل، بها أشجار ونخيل، وإليها تنسب الجرار البلاصي، المنتفع بها في نواحي مصر كلها، وطينة هذا الجرار، أو تلك التحف الفخارية، مخصوصة، من تربة تؤخذ من منطقة محصورة، بين الملق[٥] والجبل

---

[١]) : أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي (المتوفى: ٦٥١هـ/ ١٢٥٣م): سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، هذبهُ: محمد بن جلال الدين المكرم (ابن منظور) (المتوفى: ٧١١ هـ/ ١٣١١م) ، المحقق: إحسان عباس، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر – بيروت–لبنان، الطبعة: ١، ١٩٨٠م، صـ ٣٢٠. رينهارت: تكملة المعاجم، جـ٤/٤٥٠.

[٢]) المقريزي: البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، المحقق: فردناد واسطون فيلد Ferdinand Wüstenfeld (مستشرق ألماني)، طبعة: جوتنجن، ألمانيا عام ١٨٤٧ م، صـ ٣٦.

[٣]) الخطط التوفيقية، جـ٩/ ٨٢

[٤]) بصعيد مصر، وإحدى قرى مدينة قنا، وتعرف بالمحروسة الآن، وكلمة بلاص تعنى الجرة الفخارية، وكانت تلك البلاد مشتهرة بصناعة الجرار والقلل الفخارية، ومنها تصدر إلى ربوع مصر، بل والعالم أجمع، واعتبرت البلاص من أكبر المدن تجاريا واقتصاديا، بسبب ازدهارد تلك الصنعة ووقوعها على النيل مما سهل عملية النقل والتفريغ وكانت مصدرا كبيرا من مصادر الدخل في مصر الإسلامية. انظر ياقوت: معجم البلدان، جـ ١/ ٤٧٧. محمد رمزي: القاموس الجغرافي، جـ٤/١٧٤.

[٥]) الملق والملقة، مأخوذ من الصفاء، والجسم الأملس، والأرض الناعمة التي لا يكاد يظهر فيها أثر، والأرض الملق، هي المجاورة للنهر، تنبسط عليها ماء النهر أيام الفيضان ثم ينصب بعد ذلك. الرازي: مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م. جـ٥/٣٥١. تيمور/ معجم اللغة العامية، جـ٥/٣٩٢.

الغربي، ومع نزول المطر على الجبل واختلاطه تلك الطينة الجبلية بطين الملق، يتولد عنها قطعة طفيلية من الجبل، وكل صاحب دولاب (الألة المعدة لصنع الفخار) له قطعة مخصوصة، من تلك الأرض، لا يتعداها، وبقرب تلك القرية، قرية أخرى تعرف بدير البلاص، وقرية طوخ[١] وغيرها من القرى لكن أشهرها البلاص، التي اشتهرت بتلك الدواليب، وكل دولاب عليه مقرر أو مبلغ مالي يدفعه للديوان كل سنه، ثم ذكر أن الدولاب، الحلقة من ساقية أو طاحونة، أو معصرة أو حلاجة، أو آلة غزل أو نسج، وعليه مبلغ من المال تدفعه كل سنه، ويؤخذ من الورثة إذا مات صاحب الدولاب!!

قلت: وقد تناول بعض المؤرخين ما عرف بزكاة الدولبة، وهي ضريبة كانت تجبى من أصحاب الدواليب، بواسطة المشدين، في كل عام، وقد أبطلها المنصور قلاوون (٦٧٨-٦٨٩ هـ / ١٢٨٠-١٢٩٠م)في سنة ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣م، لكنها عادت مرة أخرى في سنى حكم الدولة المملوكية[٢]

وعليه فإن الدواليب تتعلق بالسقايات والنواعير والآت الغزل والكتان، وآلات الفخار، ومصانع السكر، ومهمة كاشف الدواليب والمشدية هو القيام على أمورها، ومباشرة أعمالها، وتحصيل الأموال والضرائب من أصحابها، وقد تحدث الفقهاء عن الدواليب، ومقدار الزكاة المفروضة عليها، كما أشار إليها نفر من المؤرخين قديما وحديثا[٣]

وكانت الدواليب، من أشهر وأقدم الآلات المستخدمة في رفع الماء، تدار من خلال الأبقار وغيرها، وتشيد الخزانات والآبار المخصصة لتخزين الماء، وكانت تبنى بالطوب والحجارة، ويتم توزيع مياه السدود بين القرى المتجاورة من خلال قناطر معدة لهذا الغرض بحيث تحصل كل قرية على احتياجاتها من الماء دون أن يضار غيرها. [٤]

---

[١]) اسم لأكثر من مكان بمصر، والمراد بها هنا قرية على النيل تتبع قوص حاليا. محمد رمزي: القاموس الجغرافي، جـ ٤/ ١٨٦.

[٢]) للمزيد، انظر الهاشمي: نزهة المالك والمملوك، صـ ١٦١. المقريزي: السلوك، جـ٢/ ١٢٢.

[٣]) للمزيد راجع قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، الناشر: دار الرشيد للنشر، بغداد، ط١، ١٩٨١م، صـ٢٢٠. المقدسي: أحسن التقاسيم، مكتبة مدبولي القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١١/١٩٩١.م، جـ ٢٠٨/١. مجد الدين ابن تيمية: المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد، مكتبة المعارف- الرياض، ط٢، ١٤٠٤هـ -١٩٨٤مـ، جـ٢٢١/١. الرازي: التفسير، : دار إحياء التراث العربي – بيروت،ط٣ – ١٤٢٠ هـ، جـ ١٣/ ١٦٤. ياقوت: معجم الأدباء، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م، جـ ١٨٥٢/٤. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، تحقيق وتعليق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الرسالة العالمية، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م، جـ ٥٢٠/١٩. ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، جـ ٤٧٩/٣.

[٤]) م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان: موجز دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة وتحقيق: إبراهيم زكي خورشيد، وآخرون، لمراجعة والإشراف العلمي د. حسن حبشي، وآخرون، الناشر: مركز الشارقة للإبداع الفكري، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م، جـ ٢٨/ ٨٩٤١.

وعليه فلا يستبعد أن يكون لفظ كاشف الدواليب أو مشد الدواليب، هو الموظف المسئول عن تحصيل ومباشرة، الأعمال المتعلقة بالدواليب، ولا يشترط أن يقتصر تلك الدواليب على نوع معين، كمصانع السكر أو المعاصر، فمن الممكن، كذلك أن يكون متعلق بالأدوات والآلات الخاصة بالري، وكذا الغزل والنسيج، وقد ورد اسم كشف الدواليب ومشد الدواليب في بعض المصادر التاريخية.[١]

ولعل من أشهر من ولى هذا المنصب، الأمير لؤلؤ الطواشي اشتهر ببدر الدين لؤلؤ، ولى العديد من المناصب من أهمها، كشف الوجه القبلي، في سنة ٨١٣هـ/ ١٤١١م، ثم عزل منها وعوقب وأخذ منه أموالا كثيرة، في سنة ٨١٨ هـ / ١٤١٥م، ثم ولي مشد الدواليب في الوجه القبلي، وظل بها حتى توفاه الله في سنة ٨٢١ هـ / ١٤١٨م. [٢]

ولعل التعبير بكشف الدواليب، في الوجه القبلي يعني أن هناك كشاف للدواليب في الوجه البحري حتى لو اغفلته المصادر، لكن تبقى مهنة الدولبة، من المهن المهمة التي ارتبطت بالكشفية في العصر المملوكي.

الوالي:

تطرق القلقشندي [٣] لقضية الولاة، كما مر، وذكر أن الولاة ربما كانوا من أمراء الطبلخانات، أو أمراء العشرة أو العشرين، مما يعنى أنهم أقل في الرتبة من الكشاف، وأنهم في المرتبة التي تليهم، ثم ذكر أن للوجه القبلي ستة ولاة وللوجه البحري سبعة .

والدليل على أن الولاية والكشوفية تواجدتا في عصر دولة المماليك على اعتبار أن كليهما وظيفة دون الأخرى ما ذكره ابن حجر[٤] عن حوادث سنة ٧٩٩ هـ/ ١٣٩٧م، من استقرار أناط[٥]كاشف الوجه القبلي عوضاً عن عمر ابن أخي قرط [٦] واستقر عوضه في أمارة قوص ناصر الدين ابن العادلي[٧]...

ولعل من أهم الدلائل في هذا النص:

---

(١) عن شد الدواليب انظر، المقريزي: السلوك، جـ٦/ ٤٨٦. وعن كشف الدواليب انظر السلوك، جـ ١٦٥/٣.

(٢) يرجى مطالعة، المقريزي: السلوك، جـ ٤٨٦/٦. ابن حجر: إنباء الغمر، جـ١٨٥/٣.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١٧١/٧.

(٤) إنباء الغمر: جـ٥٢٣/١.

(٥) ذكره المقريزي بلقب أوناط و أنواط السيفي أو اليوسفي، كان من الكشاف والولاة، ولم يذكر له ترجمة، وكان أخر خبر له لما عوقب وضرب في سنة ٨٠٢ هـ / ١٤٠٠م. السلوك، جـ٣٢٦/٥؛ ٣٣٦؛ ٣٧٠؛ جـ٤/٦.

(٦) عمر بن إلياس، بن أخت قرط الكاشف، قتل على يد العربان في منفلوط وهو وال عليها، في سنة ٨٠٠ هـ / ١٣٩٨م. المقريزي: السلوك، جـ ٤٢٣/٥. ابن حجر إنباء الغمر، جـ ٣٦/٢.

(٧) أحد الولاة والكشاف، ولي قوص والمنوفية وغيرهما، ولم ترد له ترجمة، وكان أخر عهده بالمناصب الكشفية في سنة ٨٠٣هـ/ ١٤٠١م. السلوك، جـ٦/ ٣٨.

١- لفظ الكشوفية أعم وأرفع لإطلاقه على الوجه القبلي كله.

٢- ذكر قوص على أنها إمارة.

٣- ذكر الإسكندرية على أنها نظارة.

٤- وذكر دمياط على أنها ولاية.

فقد ورد في هذا النص كاشف وأمير، وناظر ووال، وكلها أقاليم، لكن تختلف من حيث الأهمية والمساحة والقرب والبعد عن مركز السلطنة.

ومما يؤكد على ما ذكرته، من كون الكشوفية والولاية مختلفتان، ما ذكره ابن حجر[١] كذلك عن الأمير ضلداي المتوفى سنة ٧٣١هـ/ ١٣٣١م، والذى تولى منصب ولاية الشرقية ثم كشوفية الوجه القبلي، ومن الذين جمع بين الكشوفية والولاية الأمير دولات خجا بن عبد الله الظاهري [٢] فقد تولى ولاية القاهرة وحسبتها، كما ولي الكشوفية في الوجه البحري[٣]

المباشر:

باشر العمل أي تولاه بنفسه، وقام بالمهام المسئول عنها[٤] وقد سبق وأشرت للمباشرين والمشدين الذين طُلب منهم مبلغا من المال يؤدونه للخزانة السلطانية، والمباشر بصفة عامة موظف من قبل الدولة، مكلف ببعض المهام الموكلة إليه بحسب طبيعة عمله، فهناك مثلا: مباشر الخزانة السلطانية وكان من اهم شروطها: العدالة والأمانة والنزاهة، كون متوليها مسئولا عن خزائن السلطان، وهي في السعة والأموال ما هي؟![٥] وهناك كذلك مباشرة الأهراء [٦]، ومباشرة البيوت السلطانية[٧] وهناك كذلك مباشر الجوالي، وهو المسئول عن جمع الضرائب والجزية من الجاليات الأجنبية الموجودة في مصر، وكان من مهام عمله، أن

---

(١) الدرر الكامنة: جـ٢/٣٦٧.

(٢) من أصاغر مماليك الملك الظاهر برقوق الذين كانوا لا يؤبه إليهم،كان المذكور من جملة المماليك السلطانية، ودام على ذلك دهراً طويلاً إلى أن جعله الملك الأشرف برسباي كاشفاً ببعض أقاليم الوجه البحري، فأظهر في ولايته للكشف من الظلم والعسف ما صيره بعد ذلك والياً بالقاهرة، ولما كثر ظلمه، عزله السلطان عن الولاية، وولاه الكشوفية؛ ففعل في الكشوفية أيضاً ما لا يليق ذكره. ثم عزل عن الكشوفية وولي الحسبة حتى مات بالطاعون، وقد قارب السبعين في سنة ٨٤١ هـ / ١٤٣٧، وكان من الظالمين المهووسين بالتعذيب والتفنن فيه، له العديد من الأعاجيب حكاها ابن تغري بردي وغيره من المؤرخين!. المنهل الصافي، جـ٥/٣٣٠.

(٣) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٥/ ٣٣٠.

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة، جـ١/٢٠٧، مادة بشر.

(٥) النويري: نهاية الأرب، جـ٨/٢١٣.

(٦) بيت ضخم يجمع فيه طعام السلطان، والجميع الأهراء، . الهروي: تهذيب اللغة،جـ٦/٢١٢.

(٧) النويري: نهاية الأرب، جـ٨/٢٢٠.

يلزم رئيس طائفة اليهود وقسيس النصارى أو البطريرك وغيرهما من الطوائف بكتابة بيانات تلك الطوائف في دفاتر تعرف بالرقاع، يذكر فيها أسماء القائمين ومن طرأ عليهم، من مات؟، ومن أسلم؟، ومن توجه إلى مكان ما؟، وأين توجه؟! [١]

وكان هناك ما يعرف بمباشر الجهات، كانت مهمته تنظيم أوراق الأرض التي مسحت، لتحديد ما عليها من خراج بحسب جودة تربتها ومساحتها، وقربها من النيل وبعدها عنه، وسهولة سقايها من عدمه!.

وتثبت تلك المعلومات كلها في أوراق تعرف بالمكلفة[٢]

وقد ذكر القلقشندي نصا يبين فيه أحوال أرض مصر والموظفين تبعا لتلك الأحوال حيث يقول:

في معرض حديثه عن الإقطاعات: وهي جل الأرض في الوجهين البحري والقبلي، وكانت لتلك الأقطاعات حالين، إما أن توفى بقدر معين من المال لا يزيد ولا ينقص في كل عام.

الحالة الثانية: أن تكون البلاد مما جرت العادة بمساحة أرضها لسعتها، واختلاف الري فيها بالكثرة والقلة، بحسب وفاء النيل ونقصانه، وقد جرت العادة، أنّ كاتب خراج الناحية، يطلب خولة القانون بذلك البلد، وتوريخ الأحواض على المزارعين بفدن مقدّرة [٣]، وتكتب بها أوراق تسمّى أوراق المسجل [٤]، وتحمل نسختها إلى ديوان صاحب الإقطاع [٥]، فإذا طلع الزرع خرج من عنده مباشرين، يمسحون أرض تلك البلد في كل قبالة بأسماء المزارعين ... [٦]

وقد ذكر هنا وظيفتين تتبع الكشفية الأولى، كاتب الخراج، والثانية خولة القانون.

أما كاتب الخراج فهو الموظف المسئول عن كتابة خراج الأرض وضرائبها وحساب ريعها، وضبط كل ما يتعلق بها من المسائل الحسابية، وهي وظيفة قديمة قدم الدولة الإسلامية، وتعد من أخطر وظائف الدولة الإسلامية، المتعلقة بالأرض وضبط خراجها! [٧] والوظيفة

---

[١] النويري: نهاية الأرب، جـ٨/٢٤٢.

[٢] أوراق تكتب فيها القياسات التي انتهى إليها مباشرو المساحة. النويري: نهاية الأرب، جـ ٨/٢٥٠.

[٣] يقصد توزيع الأرض على الفلاحين بمساحات معينة، ولمدة زمنية معينة، كأن توزع بحسب السنة أو التقويم الذى تحرث فيه الأرض وتزرع من العام إلى العام!

[٤] كانت تكتب في أوراق مخصوصة، عرفت بالمسجل، تكتب فيه المساحات وتسجل بطريقة تشبه التسجيل العقاري في وقتنا الحالي . النويري: نهاية الأرب، جـ ٨/٢٥٠.

[٥] ويراد به الأمير الذى تقع الأرض في حيازته، فقد كانت أرض مصر موزعة لإقطاعات بين الأمراء، كل امير يحوز بلده من البلاد، مثل الأمير سنقر السعدي ت (٧٢٨هـ ١٣٢٨م) والذى حاز قرية النحرارية (تتبع مدينة ومركز كفر الزيات غربية)

[٦] صبح الأعشى: جـ٣/٥٢٥.

[٧] عن مادة كاتب الخراج راجع الطبري: الرسل والملوك، جـ ٢/١٥٠. ابن عبد ربه، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م): العقد الفريد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ، ٤/٢٥٨.

الثانية: خولة القانون والخولي معروف، وهم مجموعة من الموظفين المشرفين، والعارفين بقوانين الرس والزراعة، وخراج الأرض. [١]

وقد ورد ذكر المباشرين في أكثر من موضع في المصادر الإسلامية، ففي حوادث سنة ٨١٩ هـ/ ١٤١٦م، أصدر الملك المؤيد شيخ مرسوما يلزم جميع المباشرين في جميع الجهات، بجلب الرخام اللازم لترخيم مسجده الجامع[٢]

وفي واقعة جباية الخمس كما تقدم ذكرنا أن الكشاف والمباشرين هم من قاموا بجمع تلك الجباية أو الضريبة، مما يعنى ارتباط عمل المباشرين بعمل الكشاف بشكل مباشر.

جهاز الشرطة: (متولي الحرب)

كان لجهاز الشرطة بالغ الأثر في الكشوفيات، فكما مر من تعدد مهام الكاشف، وعلى رأس تلك المهام بلا شك ضبط الأمن، ورد غارات الثوار، ولا شك أن هذا يستلزم وجود جهاز شرطي قوي، يساعد الوالي أو الكاشف في ضبط امور الكشوفية، ومعاقبة الخارجين والثائرين!!

ومن الحوادث التي تشير إلى مهمة متولي الحرب ومن معه من معاونين، ما حدث في سنة ٨٢٨هـ/ ١٤٢٥م، حيث قام متولي الحرب؛ بتلك النواحي، بتوسيط سبعة رجالة من قطاع الطريق، وعلقهم على ممر المسافرين كما هي عادتهم في ذلك، وأكد على الخفراء أرباب الدرك؛ في حراستهم طول الليل، خوفا من مجيء أهاليهم، وأخذهم إياهم وحلف بأيمانه لئن فُقد أحد منهم ليوسطن الجميع؛ فباتوا يحرسونهم حتى كاد الليل يذهب أخذهم النوم؛ ثم انتبهوا في السحر فإذا بعدة الموسطين قد نقصت واحد، فمن شدة خوفهم أن يطلع النهار ويبلغ الوالي أن الموسطين قد أخذ منهم واحد فيوسطهم بدله مروا في الدرب المسلوك، ليأخذوا من انفرد من المسافرين يوسطوه ويعلقوه بدل الذي نقص من العدة فإذا هم برجل على حمار؛ وتحته قفتان، فأخذوه؛ ووسطوه، وعلقوه مع الموسطين، فلما طلع النهار جاءهم مقدم الوالي لكشف حال الموسطين !!

فإذا عدتهم قد زادت واحدا فأنكر على الخفراء وأحضرهم إلى الوالي وأعلمه الخبر فلم يجدوا بدا من الصدق، وأخبروه أنهم ناموا آخر الليل وانتبهوا سحرا، فرأوا العدة قد نقصوا واحدا فما شكوا في أنه أخذه أهله؛ فأخذوا رجلا على حمار من المارة؛ ووسطوه وعلقوه مكان الذي نقص، وحلفوا أيمانا عديدة، أنهم ما رأوهم إلا ناقصين واحدا، فأمر بفتح القفتين اللتين كانتا على حمار المقتول فإذا في كل قفة نصف امرأة قد نقشت فعلم الوالي ومن حضره أنه كان قد قتل هذه المرأة وسرى بها سحرا حتى يواريها فقتله الله بها!! [٣]

---

[١]) النويري: نهاية الأرب، جـ ٨/ ٢٤٧.

[٢]) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ١٤/٤٣.

[٣]) المقريزي : السلوك، جـ٧/١١٩. ابن شاهين: نيل الأمل، جـ٤/١٧٧.

ولعل من أهم ما يؤخذ من تلك الرواية:

١- وجود وظيفة متولى الحرب، ولعلها تشبه الآن وظيفة مدير الأمن أو مأمور المركز في الأقاليم والمديريات.

٢- وجود مهنة الخفير النظامي أو خفير الدرك.

٣- لمتولي الحرب معاون أو مساعد يعرف بمقدم الولي.

٤- من مهام متولي الحرب معاقبة الخارجين على القانون، ومساعدة الكاشف في ضبط أمر الولاية.

الحاجب:

الحجوبية معروفة، وهي من أقدم المهن في تاريخ الحضارة الإسلامية، وقد أُختلف في منشأ تلك الوظيفة لكن الثابت أنها تعود لعصر الدولة الأموية، وتعددت أصناف الحجاب في الدولة الإسلامية، ولم تقتصر على الخلفاء والملوك والسلاطين وحسب[١] بل تعدتها لكبار الموظفين من أرباب السيوف، ومنهم الكشاف والولاة، وكان الحاجب بمثابة السكرتير، الذى ينظم وقت الأمير، ويدخل عليه الرسل، ويخبره بمن ببابه، وهو مشيره ومدبر أمره .

وقد مر بنا أن أن الملك المنصور علي بن الأشرف شعبان قد أنعم على شرف الدين موسى بن قرمان أطلسين كاشف الوجه القبلي، وجعل في خدمته أمير طبلخاناه حاجبا له!

الخزندار.

ومن الجدير بالذكر أن الكشاف كان لهم ما يعرف بالخزندارية، من ذلك ما ذكره اليوسفي، عن الأمير علم الدين سنجر الخازن، أنه لما مات، عاقبوا جميع أتباعه وجنده وحاشيته ومنهم خزندراه [٢]

الجندارية

الجاندار كلمة تركية مركبة من مقطعين وتعني حامل السلاح، والمراد بها هنا، الحارس الشخصي للأمير أو السلطان [٣] ومن الذين تولوا منصب جاندار الكاشف، إبراهيم بن أبي بكر بن شدّاد بن صابر، مقدّم الدولة [٤] وقد تولى هذا المنصب للأمير علم الدين سنجر الخازن الكاشف والذى سيأتي ذكره [٥]

---

[١]) القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٤/٢٠.

[٢]) نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق: أحمد حطيط، عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، صـ ٢٧٦.

[٣]) رينهارت: تكملة المعاجم العربية، جـ ١٢٨/٢. محمد الدهمان: معجم الألفاظ التاريخية، صـ ٥١.

[٤]) فلاح من منية عباد التابعة لمركز نبروة دقهلية الآن، وكانت تتبع وقتها المحلة الكبرى، كان أبوه مقدما لوالي المحلة، ثم وليها من بعد وفاة أبيه وتقلب في المناصب ومنها جاندار

[٥]) المقريزي: المقفي الكبير، جـ ٧٣/١.

المبحث الثاني:❁

دراسة لبعض الكشاف في العصرين البحري والجركسي.

كما مر بنا فإن وظيفة الكشف من إحدى الوظائف المهمة التي وجدت في العصر المملوكي، كانت تشبه وظيفة المحافظ الآن، وكان يعبر عنه بوالي الإقليم أو صاحب الكشف، أو صاحب الكشف السعيد[١] وكان الكشاف في مصر بوجهيها القبلي والبحري، أعلاهم كاشف الكشاف، أو كاشف الوجه البحري وكاشف الوجه القبلي، وبالشام عددا من الكشاف في دمشق وغيرها، كما بينا أن الكشوفية لم تقتصر على نواب الأقاليم وحكامها وحسب بل تعدتها إلى وظائف أخرى ككاشف التراب وكاشف الجسور وغير ذلك.

والحق أن هناك العديد من الأمراء الكبار أرباب السيف، وذوي الحظوة والجاه قد تولوا هذا المنصب نذكر منهم:

أولا: الكشاف في العصر المملوكي الأول: ❁

علم الدين سنجر الخازن.

أحد أشهر أمراء الدولة المملوكية البحرية، وهو غير صاحب القبة المشهورة، بشارع سنجر، بالحلمية (بركة الفيل سابقا) بالدرب الأحمر بالقاهرة[٢]، علم الدين الأشرفي سنجر أو سنقر[٣] الخازن المنصوري، نسبة للمنصور قلاوون، فهو أحد أمرائه، كان الأمير علم الدين

---

[١]) حسن الباشا: الفنون الإسلامية جـ٢/٩٢٧

[٢] عرفها العامة بالمضفر، وذكرها علي مبارك في خططه في مكان عرف قديما بحدرة البقر (مكانه الآن تقاطع شارع السيوفية مع شارع الحلمية، أمام مستشفى الخليفة العام، حيث توجد بقايا القبة الضريحية المضلعة، ولعل مرد التسمية إلى وجود دار في تلك المنطقة قديما عرفت بدار البقر، كانت حظيرة للأبقار السلطانية في عصر الناصر محمد بن قلاوون، لتشغيل السواقي السلطانية وتحديدا في سنة ٧١٢ هـ / ١٣١٢م) وفي هذا المكان بنى سنجر االمظفري قبته أو مسجده، والذى لم يتبق منه إلا القبة المذكورة، ومن الجدير بالذكر أن بعضهم كعلي مبارك ذكر أن القبة للمظفر قطز؛ وهذا خطأ فتاريخ القبة مخالف تماما لوفاة المظفر قطز، وقد قمت بتصحيح تلك المعلومة لبعض المواقع الأثرية المشهورة منذ سنوات، كما ذكر الأستاذ حسن قاسم التصحيح والاستدراك على علي مبارك، وهو غير سنجر الخازن لأن صاحب تلك القبة مكتوب علي قبته هذا قبر الفقير إلى الله تعالى، علم الدين سنجر المظفري تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته، وكانت وفاته بتاريخ سابع عشر صفر سنة اثنين وعشرين وسبعمائة (٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م) . للمزيد المقريزي: السلوك، ٤٩٠/٢. الخطط المقريزية ١٢٥/٣. علي مبارك: الخطط التوفيقية، جـ٢ /٣٩. حسن قاسم: المزارات الإسلامية والآثار العربية في مصر والقاهرة المعزية، مكتبة الإسكندرية ٢٠١٧م، جـ٣/ ٢٢٢. محمد كمال السيد: أسماء ومسميات، ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م، ص٤٠٥

[٣]) لفظ تركي يعني الصقر.

سنجر، من الأمراء ذوي الهيبة، وافر الحرمة، يخشى الله في معاملاته، وتهابه العامة، محب للعلم والأدب والفكر، يحب المناظرة، والاستماع إلى أدب العلماء وحديثهم [١]

كان في الأصل من المشارقة الوافدين على مصر، تربى في بلاط المنصور قلاوون، ثم ترقى في بلاط ولده الأشرف خليل(٦٨٩-٦٩٢ هـ/ ١٢٩٠-١٢٩٣م) فنسب إليه وعرف بالأشرفي.

كان في مبتدأ أمره أحد الأمراء الذين تولوا منصب الخازندارية، فعرف بالخازن، ولعل امانته، وقيامه على هذا الأمر كما ينبغي في أيام الأشرف جعل هذا اللقب علما عليه، للتمييز بينه وبين غيره ممن تسمى باسم سنجر.

ثم انتقل من الخزانة إلى مشد الدواوين، ومنها بدأت رحلته في عالم الكشفية، حيث تولى البهنسا، وهي ولاية كبيرة بلا شك، تحتاج إلى حزم وصرامة، ومنها إلى ولاية القاهرة، ثم تولى مشد الجهات مضافا إلى ولاية القاهرة، وكان حسن السياسة رحيما بالرعية، لا يحب البطش ولا يلجأ إليه إلا في أضيق الحدود، ولذا فقد تم عزله من كل المسئوليات والمهام المناط بها في سنة ٧٢٤ هـ / ١٣٢٤م، وقد ذكر المقريزي [٢] أن سبب العزل " في تلك السنة، كثرت الشناعة في القاهرة بسبب الفلوس [٣]، وتعنت الناس فيها، وامتنعوا من أخذها حتى وقف الحال وتحسن السعر، وكان حينئذ يتقلد الوزارة الأمير علاء الدين مغلطاي الجماليّ [٤]، ويتقلد ولاية القاهرة الأمير علم الدين سنجر الخازن، فلما توجه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون من قلعة الجبل إلى السرحة بناحية سرياقوس [٥]، بلغه توقف الحال

---

[١] الصفدي: أعيان العصر، جـ ٤٧١/٢.

[٢] الخطط، ٢٦٤/٣.

[٣] كان من خبر تلك الكائنة أن نودى في شوارع القاهرة بإبطال العملات القديمة واصدار عملات جديدة، تحمل اسم الملك الناصر محمد وقد حدث للتجار العديد من الآثار السلبية جراء تلك التعديلات. للمزيد النويري: نهاية الأرب، جـ ٦٨/٣٣. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ٧٧/٩.

[٤] ت (٧٣٢ هـ/ ١٣٣١م)، أحد أمراء الناصر محمد بن قلاوون، عرف بخرز أو كرز، وتعني (الديك) تدرج في المناصب، حتى ولي الوزارة، والاستادارية، وإمارة الحاج وغيرها من المناصب، وتعرض للسجن فترة، وكان رحمه الله محبا للعمارة، عمر بأرض الطباله (الفجالة) وله قبته وخانقاته؛ الموجوده حاليا بدرب ملوخيا بالجمالية. للمزيد ابو الفداء: المختصر، جـ ١٠٤/٤. والسلوك في صفحات متفرقة، والخطط المقريزية، جـ ٢٤٦/٤. كريم محمد حمزه: مدرسة وخانقاة مغلطاي بحي الجمالية، دراسة أثرية تاريخية حضارية، مجلة اتحاد الجامعات العربية للسياحة والضيافة، مج ١١، العدد الأول، يونيو ٢٠١٤م، صـ ١٣.

[٥] السرحة الواحة أو الاستراحة، وأصلها الشجرة العظيمة ذات الأغصان، يستظل الناس بها من حرارة الصيف، والمراد بها هنا مكان أعده الناصر محمد لتكون مستراح له، وقد أنشأ بالقرب منها خانقتاه الشهيره، والتي عرف حي الخانكه بها. للمزيد المقريزي السلوك، ابن تغري بردي النجوم الزاهرة، ابن سيده: المخصص، جـ ٢٥٩/٣.

وطمع السوقة في الناس، وأن متولي القاهرة فيه لين، وانه قليل الحرمة على السوقة، وكان السلطان كثير النفور من العامّة، شديد البغض لهم، ويريد كل وقت من الخازن أن يبطش بالحرافيش ويؤثر فيهم آثارا قبيحة، ويشهر منهم جماعة، فلم يبلغ من ذلك غرضه، فكرهه واستدعى الأمير أرغون نائب السلطنة وتقدّم إليه بالإغلاظ في القول على الخازن بسبب فساد حال الناس، وهمّ ببروز أمره بالقبض عليه وأخذ ماله، فما زال به النائب حتى عفا عنه. وقال السلطان يعزله ويولي من ينفع في مثل هذا الأمر، فاختار ولاية قدادار عوضه، لما يعرف من يقظته وشهامته وجراءته على سفك الدماء، فاستدعاه من البحيرة وولاه ولاية القاهرة في أوّل شهر رمضان من السنة المذكورة."

فوجد الناس من عزله بقدادار شدّة، وما زال بالقاهرة إلى أن مات ليلة السبت ثامن جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وسبعمائة (٧٣٥ هـ / ١٣٣٥م) وله من الآثار مسجد بناه فوق درب استجدّه بحكر الخازن، وخانقاه بالقرافة، دفن فيها عفا الله عنه [١]

ومن خلال ما مر يتضح أن سنجر الخازن.

تولى العديد من المناصب [٢] ولكن ما يعني الباحث منها وظيفة الكشفية والتي تولاها في أكثر من جهة أذكر منها:

١- والي البهنسا، سبق وأشرت لولاية البهنسا أو كشوفية البهنسا، وهي بلا شك من الأقاليم المهمة والمعقدة، والبهنسا، من البقاع المباركة، يقال هي الأرض المشار إليها في قول الله تعالى {وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ} [المؤمنون:٥٠] وبأرضها المباركة العديد من قبور الصحابة، والتابعين والأشراف ونفر من آل بيت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣]، كانت من البقاع بالغة الأهمية في صعيد مصر عرفت بولاية البهنسا، أو كورة البهنسا، الواقعة غرب النيل، ولعل من أهم ما تميزت به منسوجاتها، وخيراتها الكثيرة، فكانت من أعمر أقاليم الوجه القبلي [٤] وقد أشار إليها محمد

---

[١]) المقريزي: الخطط، جـ ٢٤١/٣.

[٢]) من بين تلك الوظائف وظيفة الخزندار أو الخازن وهو اللقب الذى اشتهر به، ومهام صاحب تلك الوظيفة، تولى أمر الخزانة، وما يحفظ فيها من خلع وهدايا وتشريفات، وكانت الخزانة تتكون من أربع أمراء يترأسهم أمير طبلخاناة، كما تولى منصب المشدية، و موضوعها ضبط الأمور المالية مع المستوف، وهذا يدلل ويشير إلى مدى نبوغ وذكاء سنجر، في الأمور المادية والحسابية، كما تولى المهمندارية، وهي وظيفه من شأنها استقبال ضيوف السلطان ولعلها تشبة وظيفة السفير أو القنصل الآن. السبكي: معيد النعم، صـ٣٢. القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٤/ ١٩٢/١٢٨.. ابن حجر: الدرر الكامنة، ٣١٩/٢

[٣] الواقدي: فتوح الشام، جـ٢/ ١٩٨.

[٤]) ياقوت: معجم البلدان، ٥١٧/١.

رمزي[١] وتتبع تغير جغرافيتها، وكيف تحولت بعد محمد علي إلى مركز الفشن، وذكر أن أهم البلاد الواقعة في حيزها الآن، مديرية بني سويف بأكملها، والفشن ومغاغة، وبني مزار، وجزء من سمالوط بالمنيا! [٢] ومن أهم مزايا تلك الولاية أو الكورة أو العمل بحسب ما وردت في الكتب والمصادر، كونها من أغني البقاع الزراعية والصناعية في مصرنا الحبيبة، ومنها أجمل أنواع المنسوجات، والمناديل التي تنسب إليها وتعرف بالمنسوجات البهنسية [٣] وعليه فهذا الصقع لا يليق به إلا الأكفأ والأجدر والأقدر، علي ضبط أموره، وتقدير حساباته بشكل دقيق، ولما كان الخازن، من أمهر الأمراء وأجدرهم في تلك الأمور فكان أمر توليه تلك الولاية عن استحقاق وجدارة، وقد مارس فيها العمل بكل ضبط وحزم، وكفاءة، أهلته أن يكون واليا على القاهرة، العاصمة ومقر السلطنة!

٢- والي القاهرة .

تولى سنجر الخازن ولاية العاصمة في فترة من أحلك الفترات وأكثرها سخونة وخطورة، فقد تولى من سنة ٧١٢ هـ/ ١٣١٢م، وحتى عام ٧٢٤ هـ / ١٣٢٤م، وهي فترة حكم الناصر محمد بن المنصور قلاوون الثالثة (٧٠٩-٧٤١هـ/ ١٣٠٩-١٣٤١م)، وقد كانت البلاد في تلك الفترة، تمر بتحديات كبرى، في الداخل والخارج، ففي الخارج خطر الصليبين، وغيرهم، وفي الداخل صراعات، ومؤامرات، ولعل ما مر به الناصر من عزل وعودة، وتأمر من بعض الأمراء، جعل الناصر يفكر مليا في اختيار رجاله، وبسط نفوذة، والتعامل بشدة مشوبة بالعنف أحيانا مع المخالفين والخارجين، فمن الحماقة تكرار الخطأ مرتين، ما بالنا وقد عزل مرتين، وتولى ثلاث مرات، ولذا فاختيار سنجر الخازن طوال هذه المدة، يؤكد ويبرهن على مدى قدرته، وخبرته، وتجربته في السياسة.

ولعل سياسة الناصر في تلك الفترة خصيصا، توافق مع سياسة سنجر الخازن، فقد ابطل الكثير من المظالم، وحد من توغل الأمراء، وأعاد تقسيم الأرض فيما عرف بالروك الناصري[٤]، وأبطل الكثير من المكوس والمظالم والضرائب[٥]، ومنع ضرب الناس

---

[١] القاموس الجغرافي، جـ٣/ ١٦

[٢] ومن أراد الاستزادة عليه بكتاب قاسم عبده قاسم: فتوح البهنسا الغراء، تحقيق عمرو منير، وزراة الثقافة المصرية، ط١، ٢٠١٢م

[٣] انظر اليعقوبي: البلدان، جـ١/ ١٧٠. الإدريسي: نزهة المشتاق، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ، جـ ١/١٣٠.

[٤] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ٩/٥١.

[٥] المقريزي: السلوك، جـ ٣/٣١٣.

بالمقارع[١]، وغيرها من الإجراءات العادلة والحاسمة التي نهجها، وتلك السياسة الحميدة والرشيدة في تلك السنوات الاثنا عشر التي تولى فيها سنجر الخازن ولاية القاهرة، كانت تتسم مع سياسته وسماته الشخصية.

٣- كاشف الغربية، فقد نقل إلى كشف الغربية، من سنة ٧٢٣ هـ وحتى ٧٢٨ هـ، فقد ذكر المقريزي [٢]، أنه في عام ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م، طلب منه الناصر محمد، جمع العربان وتقديمهم الخيل والهجن [٣]كما سبق وتمت الإشارة سابقا. ولعل ما نخلص به من نص المقريزي هذا أمرين:

الأول: أن الخازن، كان أخر عهده بالوظائف كشوفية الغربية والتي تولاها في حركة تبادلية مع الأمير قدادار، وظل فيها خمس سنوات

الثاني: أن الخازن ظل وحتى وفاته بطالا، لكبر سنه فقد توفى عن عمر يناهز التسعين، في سنة ٧٣٥ هـ / ١٣٣٥م، أي أن عمره عند ترك الوظيفة كان نحو ثلاثة وثمانين عاما!

الأمير سيف الدين قدادار.

سيف الدين قدادار، بن عبد الله، أصله من مماليك الأمير برلغي الأشرفي[٤] وقد اتسم قدادار، بالجرأة والبطش، وسفك الدماء، والحزم مع الشدة [٥] ولي العديد من المناصب، وكان وكان من أصحاب الخبرة والتجربة، في هذا المجال ومن أوائل المناصب التي شغلها هذا الأمير، كشوفية الغربية، حيث تولى كشف الغربية، في سنة ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م،[٦] مضاف إليه كشف البحيرة، وفي السنة ذاتها، نقل إلى ولاية القاهرة عوضا عن الأمير علم الدين سنجر الخازن، وظل بها حتى سنة ٧٢٨ هـ/ ١٣٢٨م[٧] كان قدادار سفاكا بطبعه، شديد الطباع، قوي الشكيمة، والحق أن تلك الفترة كانت تحتاج لوال أو حاكم للعاصمة من تلك

---

[١]) النويري نهاية الأرب، جـ ٣٣/ ٢٠٨.

[٢]) السلوك، جـ ١٩١/٣.

[٣]) المقريزي: السلوك، جـ ١٠٨/٣

[٤]) تتري الأصل، أسره الأمير حسام الدين بن مهنا، أمير العرب في أيام المنصور قلاوون، ثم اهداه للمنصور قلاوون، الذى أهداه لولده الأشرف خليل، وكان من العناصر الفاعلة والمؤثرة في دولة المماليك البحرية، لا سيما دولة الناصر محمد بن قلاوون، وكان من الامراء الطامعين في كرسى السلطنة، والمزاحمين للأمير بيبرس الجاشنكير، والأمير سلار في حكم مصر، ولتقوية نفوذه، تزوج من ابنه الجاشنكير، ولما عاد الناصر مرة أخرى، حاربه، حتى كسره الناصر وسجنه ومات بمحبسه في سنة ٧١١هـ/ ١٣١١م. للمزيد المقريزي: المقفي، جـ ٢٣٦/٢. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، جـ ٣٥٧/٣.

[٥]) النويري: نهاية الأرب، جـ ٣٢٠/٣٣.

[٦]) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ٦٧/٣.

[٧]) المقريزي: السلوك، جـ ٧٣/٣.

النوعية، تختلف سياسته عن سياسة الخازن، ففي تلك الفترة، شرع السلطان في حفر الخليج الناصري[١] وهو الأمر الذى تكلف أموالا طائلة، بجانب العمال والفلاحين والأدوات اللازمة لمباشرة مثل هذا المشروع الضخم، وهو أمر يتطلب شدة في جمع المال، وكذا في توجيه وجمع المباشرين والعمال ! وفي سنة ٧٢٤ هـ ١٣٢٤م، كثر القيل والقال بسبب ضرب فلوس جديدة [٢]، وشنع عنها بعض السوقة، والحرافيش وتوقفت الأعمال، وكان الخازن كما قلنا لينا مع العامة، لا يحب انزال البطش عليهم، فتغير عليه خاطر السلطان الناصر، وكان هذا هو السبب المباشر في تولية قدادار، لما عرف عنه من بأس وشدة [٣] وقد أشار ابن كثير [٤] إلى بداية فترة توليه فقال: وولي سيف الدين قديدار ولاية مصر، وهو شهم سفاك للدماء، فأراق الخمور وأحرق الحشيشة وأمسك الشطار [٥]، واستقامت به أحوال القاهرة ومصر.

قدادار الحاكم بأمره.

في فترة الناصر محمد الثالثة، كان قد اصدر مرسوما لجميع الولاة، ألا يقتلوا أحدا ولا يقطعوا يده إلا بعد مشاورة السلطان خلا قدادار فإنه لا يشاور على مفسد ولا غيره فانطلقت يده في سائر الناس... [٦]

وكان من قبح سريرته أن أطلق يد جماعة من الفساق عرفوا باسم المستصنعين [٧] ففسقوا، ففسقوا، وزاد ظلمهم وتعسفهم مع العامة، وباتوا يهددون العوام والصناع وأرباب الحرف، ويجبون منهم أمولا عن طريق التهديد والتنكيل. [٨]

وقد أصدر قدادار عدة مراسيم منها:

١. إغلاق الحوانيت والدكاكين طوال مدة غياب السلطان، من بعد صلاة العشاء.

٢- حظر التجول والسير ليلا، ومن وجد أخذ فإن أشتم منه رائحة الخمر عوقب بأشد أنواع العقاب.

---

[١]) المقريزي: الخطط، جـ ٢٥٨/٣. السيوطي: حسن المحاضرة، جـ ٣٨٩/٢.

[٢]) عن خبر الفلوس أنظر، النويري: نهاية الأرب، جـ ١٣/٣٣؛ وصـ ٦٧، والمقريزي: السلوك، جـ ٧١/٣.ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة،جـ٧٧/٩.

[٣]) المقريزي، الخطط، جـ٣/ ٢٦٤.

[٤]) البداية والنهاية، دار الفكر، عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م، جـ١١٣/١٤.

[٥]) الشاطر في اللغة من أعيا أهله ومؤدبه، ويتصف بالمكر والخبث، والشطار المراد بهم قطاع الطرق، والخارجين عن الدولة، وكانوا قد تميزوا العدو والركض ولهم حيل وألاعيب تعرف بحيل الشطار . الزبيدي: تاج العروس، جـ ١٧١/١٢. رينهارت: تكملة المعاجم، جـ ٣١٠/٦.

[٦]) المقريزي: السلوك، جـ ١١١/٣.

[٧]) يقصد بهم الروم والفرنجة والصقالبة. القلقشندي: صبح الأعشى جـ٥٥٣/٣.

[٨]) المقريزي: الخطط، ٢٦٦/٣.

٣- عمل بوابات على كل حارة ودرب، ويتكفل بها أهل هذا الحيز السكني.

٤- عمل دوريات من الخفراء ورجال الشرطة تدور ليلا، فإن رأت سكيرا أو سارقا، أو خارجا سمروه على باب زويلة. [١]

وفاته: توفى الأمير قدادار في سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م [٢]

نجم الدين ابن الزيبق:

سبق وأشرت لهذا الأمير الذى تولى منصب المشدية ومنصب الكشوفية وغيرها من المناصب.

اسمه ولقبة: داود بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن يوسف، ولقبه نجم الدين وشهرته نجم الدين بن الزيبق [٣].

سماته الشخصية: كان ابن الزيبق شخصا سياسيا من الطراز الأول، يتسم بصفات ومهارات إدارية وقيادية كبيرة، فقد تميز بالشدة والصرامة، والمهابة، كان اسم بن الزيبق كفيلا لبث الرعب في نفوس المفسدين وقطاع الطرق، وكان مع حزمه وصرامته وشدته، بشوشا ومعظما لأصحابه وأهله ومن تودد إليه وأحبه[٤]

حياته العملية والوظيفية: تدرج في العديد من الوظائف الإدارية وبدا نجمه في السطوع أيام الأمير سلار [٥] فتولى وظيفة المباشر، أو بالأحرى مباشر الخاص[٦] بدمشق، كما تولى

---

[١]) المقريزي: السلوك، جـ٣/١١٢.

[٢]) المقريزي: السلوك، جـ٣/١٣٧

[٣]) ابن كثير: البداية والنهاية: جـ١٤/١٤٣.

[٤]) الصفدي: أعيان العصر، جـ٢/٣٤٣.

[٥]) سيف الدين التتري الصالحي المنصوري؛ كان أولاً من مماليك الصالح علاء الدين علي بن المنصور المنصور قلاون فلما مات الصالح صار من خاصة المنصور، ثم اتصل بخدمة الأشرف وحظي عنده وتأمر، وكان عاقلاً تاركاً للشر، ينطوي على دهاء وخبرة بالأمور، وفيه دين بالجملة ونال سلار من سعادة الدنيا ما لا يوصف، وجمع من الذهب قناطير مقنطرة، حتى اشتهر على ألسنة الناس أنه كان يدخله كل يوم مائة ألف درهم، واستمر في دست النيابة إحدى عشرة سنة وكان إقطاعه بضعة وثلاثون طبلخاناه، وكان من كبار الأمراء، تولى منصب ديار السلطنة أيام الجاشنكير، ثم عاقبة الناصر حال عودته بالسجن حتى مات جوعا وكمدا وقهرا في محبسه (٧١٠ هـ١٣١٠م)، ودفنه الأمير علم الدين سنجر الجاولي ت(٧٤٥ هـ/ ١٣٤٤م) بالخانقاة التي تحمل اسميهما والكائنة بشارع مراسينا بالسيدة زينب وتحمل أثر رقم (٢). للمزيد ابن شاكر: فوات الوفيات، ، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى- ١٩٧٤م، جـ ٢/٨٦. سعاد ماهر: مساجد مصر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، جـ ٣/ ١٤٠.

[٦]) ديوان الخاص السلطاني، أو ديوان الخاص الشريف، ديوان استحدثه الناصر محمد بن قلاوون، بديلا عن عن الوزارة، ولهذا الديوان ناظر ومباشرين ومستوفين وشادين وغيرهم، ولعل من أشهر الذين تولوا منصب النويري الأديب المشهور. للمزيد نهاية الأرب في فنون الأدب: جـ٣٢/٦. القلقشندي: صبح الأعشى، جـ ٣/٥٢٣.

مباشرة الديوان بحمص، ثم مشدية الأوقاف [١] بدمشق، ثم نابلس، ثم تولى منصب مشد الدواوين بدمشق، كذلك من المناصب التي تولاها، مشدية غزة والساحل والجبل
ومن أهم المناصب التي تولاها ثلاثة مناصب جملة واحدة ولاها إياه الناصر محمد بن قلاوون، ولاية مصر ومشد الجهات والصناعة والأهراء !!

ولعل هذا يدل على مدى تمرس ابن الزيبق وخبراته المتعددة، فولاية مصر منصب لا يتصدى له ؛إلا المتمرسين في فن الحكم والإدارة، لخطورته فهو صقع الأصقاع، ومحط الخلافة، وعاصمة السلطنة.

كذلك منصب مشد الجهات، ولعله يشبه اليوم، وزير الأشغال، مضاف إليه منصب نظارة الصناع، والإشراف على المطابخ والمخازن السلطانية.

وقد بلغ من العز والجاه مبلغا عظيما، فتولى مشد الأوقاف والخاص بدمشق حال عودته إليها مرة أخرى، وفي أيام الصالح إسماعيل (٧٤٢-٧٤٦هـ/١٣٤٢-١٣٤٥م) تولى منصب مشد الخاص المرتجع عن العربان بالشام وصفد وحمص وحماة وطرابلس [٢]كما تولى مشدية الجيزة ثم منصب الكشوفية، ومات في دمشق سنة ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧م. [٣] ومن جميل ما ذكر عنه، لما تولى نابلس، حدثت بينه وبين الأمير تنكز[٤] ضغينة أو مشاحنه

---

[١] المشد معروف وقد سبق وتمت الاشارة إليه، ومشد الأوقاف هو متولي الديوان وكبيره، والمسئول عن أموال الوقف، ومراقبة الموظفين في هذا الديوان، ومعرفة الوارد والمنصرف.

[٢]) موضوعها التحدث والنظر في المال الوارد من العربان، كالأنعام والخيل والدواب وغيرها.

[٣] للمزيد انظر الصفدي: اعيان العصر وأعوان النصر،، جـ٢/ ٣٤٥. ابن حجر: الدرر الكامنة، جـ ٢٢١/٢.

[٤]) سيف الدين أبو سعيد، الأشرفي الناصري، نائب السلطنة بدمشق، جلب إلى مصر وهو حدث فنشأ بها. وكان أبيض إلى السمره، كأن وجهه عليه حسن القمر وسعد الزهره، رشيق القامه، متوسط الهامه، مليح الشعر، لا يحسن وصفه من شعر، خفيف اللحية والشارب، تنقل من الأشرف خليل إلى حسام الدين لاجين، ثم انتهى به المطاف إلى الناصر محمد الذى قربه منه وصار من خواصه، وكان من الذين صحبوا الناصر في منفاه إلى الكرك، وأخلص له، فلما تسلطن الناصر مرة ثانية، جعله من أمراء الطبلخانات، وصار من المقربين كما ولى نيابة الشام، وكان الناصر يرجع إليه في جل أمره، اشتُهر الأمير تنكز برعايته للكثير من الأعمال المعمارية في دمشق والقدس والخليل وباقي مدن فلسطين وغيرها، وتضمّنت هذه الأعمال إنشاء المدارس والجوامع والحمّامات والخانات وتأمين المياه، ساعده على ذلك ثروته المالية الكبيرة. ففي مدينة القدس قام بإنشاء السوق المعروف اليوم بسوق القطانين، والذي ضم حمامين وخانًا ورباطًا للنساء، كما جرت في عهده ترميم المسجد الأقصى، والمسجد الإبراهيمي، كما أنشأ المدرسة التنكزية في القدس . وفي دمشق عمّر جامعه المعروف بجامع تنكز وأنشأ المدرسة جانبه مقبرة وداراً وحماماً بخط الكافوري، وآل أمره بعد تغير الناصر عليه إلى القتل في محبسه بالإسكندرية سنة ٧٤١ هـ/ ١٣٤٠م. للمزيد، الصفدي: أعيان العصر، علي أبو زيد، واخرون، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، دار الفكر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٨ م، جـ ١٢٣/٢. المقريزي:

وطلب منه مائة ألف درهم، فحضر أهل نابلس وكبار رجالها وساداتها وقالوا: نحن ندفع عنه! حبا فيه، وحتى يعيدوه مرة أخرى إليهم [١]

وقد تقلبت به الدنيا ما بين مرح وفرح، وكدر وسرور، فقد صودرت أمواله، وبيعت خيوله وحواصله في سنة ٧٣٥ هـ / ١٣٣٥م، اثر وشاية كادت أن تؤدي به ! [٢]

توفي ابن الزيبق رحمه الله في سنة ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧م، [٣] بعد تاريخ حافل من العطاء، كان فيه خير النموذج للكاشف والمشد، مارس عمله بشدة وحزم، وتنقل من قطر إلى أخر، ومن كشوفية إلى كشوفية وولاية إلى أخرى، ولو أن ابن الزيبق كتب لنا عن الأماكن التي حكمها، وطبائع البشر المتابينة وعاداتهم وتقاليدهم في كل مكان تولى فيه لقدم للحضارة الإسلامية معروفا وخدمة جليلة، لكنه ما فعل!

المقفي الكبير، جـ ٣٥١/٢. الخطط، جـ ١٠٢/٣. زينب أحمد علي: ملك الأمراء، سيف الدين تنكز نائب الشام، (٧١٢-٧٤١/١٣١٢-١٣٤٠م) كلية الآداب جامعة القاهرة، عدد ٢٣، يوليو، ٢٠١٥م، صـ١٣. عثمان إسماعيل الطل، شوكت رمضان حجه: حجة وقف الإمير سيف الدين تنكز(المدرسة التنكزية) (٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م)الجامعة الإسلامية بغزة، يونيو ٢٠١١م، صـ١١٣٧.

[١] الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ ١٣/ ٢٨٨.

[٢] ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ١٧٠/١٤.

[٣] ابن حجر: الدرر الكامنة، جـ ٢٢١/٢.

المطلب الثاني :الكشاف في العصر المملوكي الجركسي.۞

ابن الطبلاوي

من الغريب في أمر بعض المهن والوظائف في مصر الإسلامية بصفة عامة، والمملوكية بصفة خاصة، انها كانت وراثية، كمهنة إمارة العرب مثلا: التي كانت في نسل آل مهنا والعوامر وآل ثعلب، وكذا مهنة الكشوفية، وولاية القاهرة، والتي كانت في بعض الأسرة كأسرة الكوراني والتي أشرت إليها في ثنايا البحث، أو تلك الأسرة التي سنتعرض لها إن شاء الله تعالى وهي أسرة الطبلاوي.

ولدينا أكثر من اسم من عائلة واحدة تولت منصب الكشوفية والولاية مضاف إليها مناصب أخرى، وهم بالترتيب علاء الدين علي بن عبد الله بن محمد الطبلاوي وكان يعاونه أخويه محمد ومحمود ثم ورث الولاية والكشوفية من بعده ناصر الدين محمد بن عبد الله بن محمد، (شقيقة) وكذلك ناصر الدين محمد بن محمد، وشهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد، ثم نختم تلك العائلة أو الاسرة بذكر علاء الدين علي بن محمد، فكما بدأت بعلاء الدين علي خُتمت بعلاء الدين علي بن محمد الطبلاوي.

١ـ علاء الدين علي بن عبد الله بن محمد الطبلاوي .

تنسب تلك الأسرة لقرية طبلوها [١]، إحدى قرى مركز تلا بالمنوفية الحالية [٢] ولعله من القلائل من أبناء العرب الذين تولوا مثل هذا المنصب الحساس، بدأ علاء الدين علي حياته، تاجرا، بعد وفاة عمه بهاء الدين ابن الطبلاوي، أحد كبار التجار في زمانه، ولم يكن لعمه هذا ورثة سوى أولاد أخيه، فحصل له مالا جزيلا، مكنه هذا المال من التجارة والتربح، والاتصال بدائرة الحكم حتى بدأ حياته مشدا للمارستان المنصوري، وهي أولى المهن التي تولاها وباشرها ابن الطبلاوي، وظل يباشر تلك المهنة بصرامة وحزم، حتى سنة ٧٩٢ هـ/ ١٣٩٠م، وهي السنة التي عاد فيها الظاهر برقوق (٧٩٢- ٨٠١هـ/ ١٣٩٠-١٣٩٩م) للحكم مرة ثانية، وكان ابن الطبلاوي من الأمراء الذين ساهموا في عودة الظاهر، فكانت المكافأة أن ولاه على القاهرة كلها! [٣]

وقد أطلق الظاهر يد ابن الطبلاوي في البلاد، فأصبح من الزعامة والمهابة بمكان، حتى أنه

---

[١]) وردت في قوانين ابن مماتى، على أنها كورة تابعة للمنوفية، وذكرها ابن الجيعان، عند ذكر المنوفية، وذكر أن مساحتها ١٤٢٢ فدانا، وذكرها محمد رمزي ضمن القرى القديمة لمركز تلا بالمنوفية، ولا تزال القرية تحمل هذا الاسم، وهي من القرى الواقعة على فرع النيل في محافظة المنوفية والنسبة إليها طبلاوي. قوانين الدواوين، صـ ١٦٢. التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، صـ ١٠٧. القاموس الجغرافي، جـ٢/ ١٧٦

[٢]) ابن حجر: إنباء الغمر، جـ ١٧٢/٢.

[٣]) المقريزي: السلوك، جـ٢٩٢/٥.

أصبح من الحكام المعدودين، والرؤساء المعروفين الذين ينافسون الظاهر على الحكم والرياسة! وصار ذكر اسم ابن الطبلاوي يثير في نفوس الكبار الرعب فضلا عن الرعية والدهماء والحرافيش.

ففي تلك السنة التي ولي فيها القاهرة، تسلم عددا من الأمراء، الخارجين على الظاهر، فقتلهم جميعا![١]

وفي سنة ٧٩٥ هـ / ١٣٩٣م، سُلم إليه محمد بن محمد بن أقبغا المتقدم الذكر؛ كاشف الجيزة، وذلك لشكوى الفلاحين منه، فضربه بالمقارع. [٢]

ابن الطبلاوي يكشف مؤامرة ضد السلطان.

في عام ٧٩٦هـ/ ١٣٩٤م، كان العالم الإسلامي، على صفيح ساخن فالمؤامرات من الداخل والخارج، وطبول الحرب تدق الأبواب، من خلال تربص تيمورلنك، وجنده [٣] ومن الداخل تربص بعض المتأمرين، خصوصا والسلطان كان قد سجن بعض بني عيسى ومنهم، موسى بن محمد بن عيسى العائدي شيخ عرب العائد [٤] وكان السلطان يعتقد في الشريف العنابي وكان بين العنابي وموسي مشاحنات، فأراد أن يغري السلطان به، فأرسل ورقة من محبسه بخزنة شمايل[٥]فإذا في الورقة أن الشريف العنابي بعث إليه أن يأمر عربانه بالنزول قريبا من القاهرة ليملكها بهم في غيبة السلطان، فتوجه الوالي بالورقة إلى السلطان؛ فأرسل يلبغا السالمي إلى الشريف العنابي [٦] ليسأله عن ذلك فأحس الشريف فهرب ثم أمسك الوالي عبداً

---

[١]) المقريزي: السلوك، جـ ٣٠٨/٥.

[٢]) السلوك، جـ ٣٦٦/٥.

[٣]) عن تلك الأخبار راجع، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ١٢/ ٤٤.

[٤]) أحد أمراء العرب من بنى مهنا قتل في تلك الحادثة سنة ٧٩٦هـ / ١٣٩٤م. المقريزي: السلوك، جـ ٣٦٥/٥.

[٥]) أصل هذا السجن كان خزانة أو مستودع تجاري كبير، خارج باب زويلة، لأحد أكابر الأمراء في العصر الأيوبي، يعرف بالأمير علم الدين شمايل، وقد تحول هذا المكان في العصر المملوكي، لسجن عظيم، حوى الخارجين على النظام، وقطاع الطرق واللصوص، والمعارضين، وقد سُجن به الملك المؤيد شيخ المحمودي، وقد نذر لله إن خرج منه ليهدمنه، فلما فرج الله كربه، هدمه وحوله لمسجد من أجمل وآجل العمائر بدولة الجراكسة! وقد استغرق بناء الجامع حوالي ست سنوات من٨١٨ – ٨٢٤ هـ (١٤١٥ – ١٤٢١) للمزيد المقريزي: السلوك، جـ ٣١٦/١. ابن إياس، جـ٢٠/٢.

[٦]) أصله عنابه، أحد مشايخ الظاهر برقوق، ومشايخ العربان، كان الظاهر يجله ويعتقد فيه، بيد أن العنابي اتفق مع بعض المماليك والعربان على خلع برقوق وتمكين نفسه، ولما وصل الأمر إلى برقوق تأكد منه أمر بإعدامه وقتل في سنة ٧٩٦ هـ/١٣٩٣م. للمزيد ابن حجر: إنباء الغمر، جـ٤٧١/١. ابن الصيرفي: على بن دواد: نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشي، دار الكتب، ١٩٧٠، صـ٣٨٧. ابن شاهين: نيل الأمل، جـ٣٤٤/٢

من عبيده فأقر بأن سيده في سويقة السباعين [١]، فبادر ابن الطبلاوي فقبض عليه وعلى أحمد بن قايماز [٢] فأحضرهما إلى السلطان وهو بالريدانية قد برز بالعسكر للتوجه فاعترف العنابي بأن الورقة بخطه وأن ابن قايماز هو الذي رتبه فيما يفعل، .... [٣]

والشاهد في الأمر، أن الظاهر أطمأن إلى ابن الطبلاوي، وصار أمين سره، وأطلق يديه في البلاد يفعل بها ما يشاء!

وفي سنة ٧٩٧ هـ/ ١٣٩٥م، ولي وظيفة الحجوبية وجعل أخاه نائبا عنه في الولاية [٤] وفي نفس السنة، سُلم إليه، والي قوص، لشكوى الأهالي منه، فعاقبه، وفي نفس السنة تخاصم رجلان من الإسكندرية، كانت وظيفة كلا منهما إدارة أو دولبة دار الضرب (مصلحة سك العملة) في الإسكندرية، فسمع منهما واستخلص من كل واحد مليون درهما! [٥]

وكان ابن الطبلاوي ينظر إلى محمود الاستادار المعروف بأصفر عينه [٦] نظرة حقد وغيرة،

---

[١]) لا يزال هناك شارع في السيدة زينب يعرف بهذا الاسم، عرفت بذلك لأنه اتخذ عليها دار السباع، بالقرب من بركة السباعين التي ذكرها المقريزي، ومن خلال خريطة الحملة الفرنسية أيضاً نرى أن البركة كانت محاطة بحارات وآثار لا يزال الكثير منها مثل: مسجد عابدين بك وجامع مسكه وزاوية البرموني وجامع عماد الدين والشيخ ريحان وحارة السقايين وحارة الزير المعلق وسويقة السباعين وغير ذلك، ونستخلص من ذلك أن موضع هذا المكان يمثل الجزء الجنوبي من قصر وميدان عابدين شمالاً حتى ميدان المبدولي الواقع به جامع محمد المبدول جنوباً. للمزيد المقريزي: الخطط، جـ٣/٢٠٩. ٢٨٦. جـ٤/١١١. الششتاوي: متنزهات القاهرة،صـ١٤١.

[٢]) شهاب الدين أحمد، أحد أمراء المماليك، تولى استادارية أكثر من أمير أشهرهم محمد بن أقبغا آص الاستادار، وهو السبب في غرق أكثر من ألف دار بالقرب من قناطر الأوز(مدخل حي الزواية الحمراء الآن بشارع بورسعيد) بسبب بركة عمرها لاصطياد الأسماك، فتسبب في غرق الكثير من العمائر والدور وغرق الحسينية بأكملها لولا ستر الله! وقد حدثته نفسه أن يكون اتابكا ، ت ٨٠٠ هـ/ ١٣٩٧م . السلوك جـ٥/٣. ٤٢٢.

[٣]) المقريزي: السلوك، جـ ٥/٣٥٣. ابن حجر: إنباء الغمر، جـ١/٤٧٠.

[٤]) السلوك، جـ ٥/٣٦٧.

[٥]) السلوك: جـ٥/ ٣٧١.

[٦]) جمال الدين الاستادار محمود بن علي بن أصفر عينه السودوني، كان من مماليك الظاهر برقوق، خدم عند الأمير سودون (٧٩٣ هـ/ ١٣٩١م) استادار، ثم تقلبت به الأحوال في سلك الدولة، فولى مشد رشيد، ثم مشد الدواوين ، ثم استادار السلطنة ومشير الدولة، وجُمع له بين ثلاثة في سابقة لم تحدث لأحد من قبله، فجمع بين ديوان المفرد والوزارة ونظر الخاص، وصار الآمر الناهي، وتقلبت به الأحوال بين الاقبال والإعراض، بعد وفاة الظاهر برقوق وكانت الفتن والمكائد، له كلمة الفصل في الأحداث آنذاك فتبدل حاله، وقل ماله، وتبدد شمله، وسجن في خزنة شمايل(الجامع المؤيدي) ومات محبوسا مقهورا في سنة ٧٩٩ هـ/ ١٣٩٦م، وهو صاحب المدرسة بالمغربلين والمعروفه بجامع الكردي أثر رقم (١١٧) ٧٩٧ هـ/ ١٣٩٥م، وكانت بالمسجد مكتبة تزخر بالنفائس والعجائب! . المقريزي: السلوك، جـ٥/٤٠٥. الخطط، جـ٤/٢٥١. علي مبارك: الخطط التوفيقية، جـ٥/١٠٩.

وغيرة، ويرى أنه المنافس الأخطر له، وأن ازلة الاستادار من منصبه، يفتح له الباب نحو نيابة السلطنة، وزيادة نفوذة عند السلطان!!

وفي العام ٧٩٧ هـ/ ١٣٩٥م، أخذ السلطان بوشاية ابن الطبلاوي، يقلص دور الاستادار، ويقلل من نفوذه وسلطانه، فأخذ منه منصب متولي دار الضرب[١] واعطاه لابن الطبلاوي[٢] مضافا لما معه، فأصبح هو الوالي، والحاجب ومتولي دار الضرب وصاحب الشرطة، كل هذه السلطات في يده لا ينازعها فيها أحد. وفي السنة نفسها تولى أمر دار الضرب في الإسكندرية ونظارة المتجر السلطاني [٣] وجعل نائبه علي المتجر السلطاني شخصا يقال له: ابن طريف [٤] .

وظل يبحث وينقب خلف اسرة الأستادار حتى أخرج من مكان خرب بجوار المدرسة المحمودية ستة آلاف دينار وأربعة عشر ألف وخمسمائة درهم فضة [٥] ولا زال بهما من التوبيخ والتقريع والضرب والاهانة، حتى اضطر جمال الدين محمود وولده لبيع كل ما يملك![٦]

ومن بين أسرة الطبلاوي التي وليت مناصب الولاية والكشوفية في القاهرة المملوكية زمن الجراكسة.

ناصر الدين محمد بن عبد الله بن محمد الطبلاوي.

وهو شقيق علاء الدين، ومن جمله أعوانه، فلما أنعم السلطان على ابن الطبلاوي، بإمرة طبلخاناه، جعل أخاه محمدًا، في ولاية القاهرة بديلا عنه، لاتساع دائرة حكمه، وتشعب مناصبه ومهامه، وشرط عليه ألا يستبد بشيء بل يراجعه في الأمور [٧] وبحسب ما ذكره

---

(١) يراد به مصلحة سك العملة ودار ضرب النقود، وكانت مقرها في القاهرة في مكان عرف بالقشاشين ثم الخراطين بالقرب من الجامع الأزهر، بجانب دار الضرب في الإسكندرية وصور ومصر القديمة وقوص وعسقلان. للمزيد ابن عبد الظاهر: الروضة البهية، تحقيق أيمن فؤاد السيد، صـ ٣٣. القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٣/٤١٧. المقريزي: الخطط، جـ١/٢٠٦.

(٢) السلوك، جـ ٥/٣٧٣.

(٣) السلوك: جـ ٥/٣٧٤.

(٤) شهاب الدين: أحمد بن محمد بن طريف الشاوي ، كان في أول أمره كحالا ثم تنقلت به الأحوال إلى أن ولي نظر دار الضرب ثم أقامه علاء الدين بن الطبلاوي في أمور المتجر السلطاني فظهرت منه كفاية زائدة وجور مفرط ،وتمرض إلى أن مات في جمادى الأولى سنة ٧٩٨/ ١٣٩٦م. ابن حجر: الدرر الكامنة، جـ ١/٣١٨.

(٥) المقريزي: السلوك، جـ ٥/٣٨٣.

(٦) السلوك، جـ ٥/٣٨٨.

(٧) السلوك، جـ ٥/٣٦٧.

المقريزي [١] وهو شاهد عيان على تلك الحقبة أن أعوان ابن الطبلاوي كانوا من عائلته أخوه أحمد وشقيقه ناصر الدين محمد والي القاهرة، وابن عمه ناصر الدين محمد، وكان قد الزم بمبلغ من المال كما تقدم، وسجن في خزنة شمايل، حتى تم الإفراج عنه في سنة ٨٠٠ هـ / ١٣٩٨م [٢] وكان ناصر الدين لا يحرك ساكنا، هو أو أحد من أفراد عائلة الطبلاوي، إلا بإذن من علاء الدين علي، فكانوا معه وبحضرته أشبه بقطع الشطرنج التي يحركها كيفما شاء.

ناصر الدين محمد بن محمد بن الطبلاوي.

لم يرد ذكره كثيرا، في المصادر التاريخية، بيد أنه من تتبعنا لبعض الأخبار، وجدت ورود اسمه كوال على القاهرة، في حوادث سنة ٨٠٣ هـ/١٤٠٠م[٣] وفي السنة نفسها تولى ولاية القرافة[٤] مع ولاية القاهرة. فكان صاحب الولايتين[٥]

شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمد الطبلاوي: يلتقى مع الطبلاوي الكبير في جده محمد، كان واليا على القاهرة في غضون سنة ٨١٠ هـ / ١٤٠٧م، [٦] وبدأت نكبة ابن الطبلاوي، كاشف الشرقية ثم متولي القاهرة في سنة ٨١٤ هـ/١٤١١م، فقد أشيع أن ابن الطبلاوي على علاقة بزوجة السلطان، وكانت تدعى خوند بنت صروق [٧]، وأنها كانت تأتيه لبيته سراً، وكان السلطان قد استدعاه، فلما حضره بين يديه في القلعة، كشف له عن إناء فإذ به رأس خوند زوج السلطان، ثم قام السلطان فضرب عنقه بيده!! وأمر بدفنهما سويا[٨] وقد ذكر ابن اياس شعرا عن تلك الحادثة يقول فيه:

---

[١]) السلوك، ٥/٤١٤.

[٢])السلوك، جـ ٥/٤١٦.

[٣]) السلوك، جـ٦/٦٣.

[٤]) كان لمصر القاهرة ثلاثة ولاة، بالقاهرة، والفسطاط المعروف بمصر، والقرافة، أعلاهم رتبة، واقلهم وأدناهم والي القرافة، والتي أتسعت في عصر المماليك الجراكسة، ولم تعد قاصرة على المدافن والقبور، بل كانت هناك المدارس والزوايا والمساكن التي أحتاجت معها لوال يقوم على أمر الأمن والأمان، وتسيير الأمور فيها. للمزيد القلقشندي: صبح الأعشى، جـ ٤/٢٤.

[٥]) السلوك: ٦ / ٦٦.

[٦]) السلوك: ٦/٢٩٤.

[٧]) ابنة الأمير صرق الظاهري، أحد ندماء الناصر فرج، وأحد مماليك أبيه ولى الكشوفية وقتل بالسيف بين بين يدى المؤيد شيخ في الصراع الكائن بينه وبين الناصر فرج سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٥م. ابن تغري بردي: المنهل الصافي جـ٦/٣٤٦.

[٨]) انظر المقريزي: السلوك، جـ ٦/٣٠٤. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٣/١٣٠. المنهل الصافي جـ٢/١٥٠.

لو يعلم القبر ما قد ضم من جسد ... قتلى أهل الهوى لامتد واتسع
وجعلوا للنساء مناديل سموها دموع بنت صروق!! [١]

ولم يتوقف ذكر آل الطبلاوي عند هذا الحد بل حدثنا المقريزي [٢] عن الأمير علاء الدين علي بن محمد بن محمد الطبلاوي، الذى كان يشغل والي مصر، فنقل منها إلى ولاية القاهرة وفي سنة ٨٢٠ هـ/ ١٤١٧م، تعرض ابن الطبلاوي للضرب بالمقارع[٣] ويبدو أن ابن الطبلاوي ظل بلا عمل حتى سنة ٨٢٣ هـ/ ١٤٢٠م، وهي السنة التي ضرب فيها مرة أخرى بين يدى السلطان المؤيد شيخ (٨١٥-٨٢٤هـ/ ١٤١٢-١٤٢١م) بالمقارع [٤]

وفي سنة ٨٤٢ هـ/ ١٤٣٨م، أي بعد أكثر من عشرين عاما، خلع عليه وأعيد مرة ثانية لولاية القاهرة وذلك في عهد الظاهر جقمق(٨٤٢-٨٥٧هـ/ ١٤٤١-١٤٥٣م) [٥] بعدما ذاق الفقر والذل!

وكان أخر ذكر له لما خُلع عليه في سنة ٨٤٣ هـ / ١٤٣٩م، واضيف إليه نقابة الجيش [٦] [٦] [٧] وقد أشار إليه السخاوي [٨] بقوله: علي بن محمد بن محمد العلاء بن ناصر الدين القاهري بن الطبلاوي. باشر ولاية القاهرة في زمن الناصر فرج، ثم بعده ثم خمل مدة إلى أن استقر فيها في جمادى الأولى سنة ٨٣٨ هـ / ١٤٣٤م، ثم عزل وأعيد إليها أيضا في ربيع الأول ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م، ثم انفصل ثم أعيد في أول ولاية الظاهر جقمق وجمع له الزعر[٩]

---

[١]) بدائع الزهور، جـ١ق٢/ ٨١٥.

[٢]) السلوك، جـ ٤٦٤/٦.

[٣]) السلوك: ٤٨٠/٦.

[٤]) السلوك جـ ١٢/٧.

[٥]) السلوك: جـ ٣٨٧/٧.

[٦]) وظيفة في الجيش المملوكي، يتكفل صاحبها باحضار من يطلبه السلطان من الأمراء والأجناد، وذكر المقريزي أن وظيفته كانت تتلخص في السير بين السلطان وحراسته في سفره وترحاله، ثم انحط قدرها، وصار هؤلاء النقباء ممن يأكلون أموال الناس بالباطل. القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٥/ ٤٢٨. الخطط، جـ٣/٣٨٨.

[٧]) السلوك: جـ ٤٤٨/٧.

[٨]) الضوء اللامع، ٢٣/٦.

[٩]) الزعر في اللغة قلة الشعر، والزعارة سوء الخلق، وذكر رينهارت أن كلمة دعارة أصلها زعارة، وهي ممارسة الفجر والبغاء وغيرهما من الفسوق، والزعر هم أهل الفساد واللهو وقطاع الطرق، والخارجون عن القانون الساعون في الأرض الفساد. الفراهيدي: العين، جـ٣٥٢/١. الزبيدي: تاج العروس، جـ ٤٢٧/١١، مادة زعر. تكملة المعاجم، جـ ٣٢٥/٥. وانظر عن الزعر في كتاب السلوك للمقريزي وابن حجر إنباء الغمر، وغيرهما من المصادر التاريخية. وكذا مطالعة محمد رجب النجار: الشطار والعيارين حكايات في التراث العربي، عالم المعرفة، ١٩٨١م.

فبالغوا في القتال معه في معركة فحمد له ذلك وولاه نقابة الجيش في رمضان سنة ثلاث وأربعين (٨٤٣هـ/١٤٣٩م) ثم انفصل ومكث دهرا خاملا ببيته وربما كان يركب وهو في هيئة رثة !! حتى مات وقد جاز المائة فيما قليل في المحرم سنة تسع وسبعين (٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م)

وبهذا يكون قد أسدل الستار عن أسرة من الأسر التي أسهمت وشاركت بدور فاعل في تلك الوظيفة المرموقة، ومن الجدير بالذكر أن أثر هذه الأسرة لا زال عصرنا الحالي، وكان منهم العلماء وأرباب الفكر !!

والحديث عن الكشاف يطول لكثرة عدد من تولى هذا المنصب طوال سنى حكم دولة المماليك، ولكن ساكتفي بما ذكرت مع ذكر جدول يشتمل معظم أسماء من تولى هذا المنصب في ملاحق البحث فلينظر فيه.

المبحث الثالث: الأثر الحضاري للكشاف.❁

لم يقتصر دور بعض الكشاف على مجرد الأداء الوظيفي وحسب، ولم تكن الكشفية مجرد وظيفة عادية في بلاط دولة المماليك، بل كانت من أهم المناصب والوظائف، لم لا، والكاشف مسئول عن آلاف الناس من مختلف الطبقات، بجانب المسئولية التامة عن كل ما يتعلق بالكشفية من أموال ومشروعات، وزراعات، ومصانع وموانئ وإلى ما غير ذلك.

والحق أن بعض الكشاف خدم الحضارة الإسلامية؛ خدمات جليله، من خلال العمائر، أو حتى من خلال التقرب والإنفاق على العلماء، وأرباب الفنون، ووقف الأوقاف على المؤسسات العلمية والفكرية!

ومن بين هؤلاء الكشاف التي كانت لهم أثارا تدل على رعايتهم للعمارة والفن والحضارة نذكر:

١. علم الدين سنجر الخازن.

كان الأمير سنجر، من المحبين للعمارة، له أرض عمرها، عرفت بحكر[١] الخازن، وأصل هذا الحكر، أو المكان، كان اسطبلا يعرف بالجوق[٢] ثم عمر فيه الأمير علم الدين سنجر الخازن، وتبعه الناس من بعد ذلك، وقد حدد المقريزي[٣] مكانه قديما فيما بين بركة الفيل(الحلمية) والجامع الطولوني، وكانت أرضه بساتين، ثم صار اسطبلا للخيول، ثم حوله العادل كتبغا (٦٩٤-٦٩٦هـ/ ١٢٩٥-١٢٩٧م) إلى ميدانا يشرف على بركة الفيل في سنة ٦٩٥ هـ/ ١٢٩٦م، ثم عمره الأمير سنجر الخازن وعرف باسمه ونسب إليه وبنى به مسجدا وموضعه الآن فيما بين شارع الخضيري جنوبا، ومدرسة بشير الجمدار شمالا[٤] وكان هذا

---

[١]) الحكر: مفرد أحكار، الحبس أو الوقف على جهة من الجهات تستفيد منه، وقد بين المقريزي وتحدث عن تلك الأحكار وأنواعها، في أكثر من موضع من كتابه الخطط، وقال: "وأما الأحكار: فإنها أجر مقرّرة على ساحات بمصر، والقاهرة، فمنها ما صار دورا للسكنى، ومنها ما أنشئ بساتين، وكانت تلك الأجر من جملة الأموال السلطانية، وقد بطل ذلك من ديوان السلطان، وصارت أحكار مصر، والقاهرة وما بينهما أوقافا على جهات متعدّدة." وذكر أن الاحكار زادت في عصر الناصر ما يربو على ستين حكرا، وكلها باتت مناطق سكنية، ولم يبق مكان في مصر (مصر القديمة) لم يحكر... للمزيد راجع الخطط، جـ ١/ ٢٠٧؛ جـ٢/ ٢١١، جـ٣/٢٠٥.

[٢]) الجوق في اللغة، كل قطيع من الرعاة أمرهم واحد، والمراد به هنا، مكان لتربية الخيول السلطانية، وكانت ارض هذه الميدان تعرف بأرض الجوق نسبة للخيول السلطانية، ثم تحول هذا الميدان بعد ذلك، حيز عمراني، كان أول من عمر فيه الأمير سنجر الخازن فعرف به، وصار علما عليه، ومكانه الآن شارع الألفي بالصليبة بالقرب من جامع بن طولون . الهروي: تهذيب اللغة، جـ ١٦٦/٩. المقريزي: الخطط، جـ ٣٤٧/٣.

[٣]) الخطط، جـ ٢٤١/٣

[٤]) المقريزي: الخطط، جـ ٢٥٦/٤. محمد الششتاوي : متنزهات القاهرة، صـ١٠٩.

المكان من آجل الأماكن في العمارة، لوقوعه على إحدى متنزهات القاهرة (بركة الفيل)وقربة من القلعة، ومن الذين سكنوا في هذا المكان الأمير جنكلي ابن البابا[١] وفيه كانت المدرسة البشيرية[٢]وزاوية الشيخ جلال الدين بن القلانسي [٣] العالم الزاهد [٤] وبه مسجده الذى أشار إليه المقريزي، وهذا الأثر لا سبيل له الآن وقد ذكر حسن قاسم [٥] أن موضع المسجد في شارع الألفي المتفرع من الصليبة، وجدده على أغا تابع محمد بك أبو الذهب، وقد جاء في نص أثري " أنشأ هذا المسجد المبارك من فضل الله تعالى وعونه الأمير على تابع المرحوم محمد بك غفر الله لهما آمين" ولعل حسن قاسم قد وهم أو خلط بين الأمرين، فالذي أراه أن مسجد الخازن بشارع نور الظلام كما حدده على مبارك [٦] كما أن هناك شارعا لا يزال يحمل اسم شارع سنجر الخازن متفرع من شارع الحلمية

---

(١) جنكلي بن محمد بن البابا بن جنكلي بن خليل بن عبد الله العجلي ، أصله من آمد ببلاد الروم (إحدي المدن التركية الآن) أحد الوافدين على مصر سنة ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣م، وهو صاحب درب ابن البابا والذى يشتمل علي السيوفيه وجزء من شار الصليبة حاليا ت (٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م). للمزيد المقريزي: المقفي الكبير، جـ ٣/٤٤. الخطط، جـ٣/٢٤٠. محمد سالم، الهجرات المشرقية إلى مصر وأثرها في الحياة الفنية إبان العصر المملوكي، رسالة دكتوراه بجامعة الأزهر فرع المنصورة، صـ ٢٦٦.

(٢) بناها الأمير سعد الدين بشير الجمدار الناصر سنة ٧٦١هـ/١٣٦٠م. وكان موضعها مسجداً يعرف بمسجد سنقر السعدي الذي بنى المدرسة السعدية (التكية المولودية أو مسرح الدراويش حالياً أثر ٢٦٣) فهدمه بشير الجمدار وبنى المدرسة الصغيرة التي تتكون حالياً من قاعة واحدة، وقد جعل بها خزانة كتب، وقد عرفت في العصر العثماني باسم زاوية الشيخ ظلام، وكانت قد جرت لها عمارة سنة ١١٠٠ هـ /١٦٨٨م على يد الأمير عمر آغا دار السعادة (كناية عن القصر العثماني والاغا الكبير أو الأمير المسئول عن الجواري في القصر السلطاني) ، وهي تشرف الآن على شارع نور الظلام. للمزيد المقريزي: الخطط، جـ٤/ ٢٥٧. على مبارك، الخطط التوفيقية، جـ٢/١٢٦.

(٣) إبراهيم بن محمد بن أحمد بن محمود، المعروف بجلال الدين القلانسي، كان في أصله كاتبا، من كتاب دمشق، ثم تصوف، واعتزل، وقدم مصر جافلا، فاعتقد فيه أهل مصر وبنوا له زاوية بجوار دار جنكلي بن البابا، بحكر الخازن وتردد إليه الناس من العوام والأمراء، وذاع صيته ت ٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م. ومن شعره (قد كنت تبت عن الهوى ... ولكن حبك لم يدعني). للمزيد الصفدي: أعيان العصر، جـ ١/١١٤. ابن تغري بردي: المنهل الصافي، جـ ١/١٤٦.

(٤) الصفدي: أعيان العصر، جـ١/٢٣.

(٥) المزارات : جـ٦/١١٩.

(٦) الخطط التوفيقية، جـ٢/ ١٢٧.

درب الخازن.

أحد الدروب التي كانت ملاصقة لسور المدرسة الصالحية [١] ومجاور لباب سرّ قاعة مدرسة الحنابلة، والسبيل الذي على باب فندق مسرور الصغير [٢][٣]

رباط الخازن

نوه إليه المقريزي، بقوله:"هذا الرباط بقرب قبة الإمام الشافعيّ رحمة الله عليه. من قرافة مصر، بناه الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله الخازن. والي القاهرة، وفيه دفن، وهذا الخازن هو الذي ينسب إليه حكر الخازن خارج القاهرة.[٤]

تقع الخانقاة بمقابر قريش بشارع سيدي عقبة بن نافع الجهني ، بالقرب من مدرسة وقبة الإمام الشافعي – رضي الله عنه – .

وقد اختار الخازن مكان خانقته ومدفنه بعناية، تدل على حبه للعلماء، واحترامه وتوقيره لآل بيت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، مجاورة لمدرسة السادات الثعالبة[٥]،وقبر يحيي

---

(١) نسب المدرسة الصالحية إلى الملك الصالح نجم الدين الأيوبي وهي من منشئاته التي وضع أساسها في ١٤ ربيع الأول سنة ٦٤٠هـ (١٢٤٢) وبدأت الدراسة فيها في العام التالي وذلك بالرغم من ضخامة بنائها، وقامت على موضع القصر الفاطمي الشرقي. عبد الرحمن زكي: القاهرة في ألف عام، صـ٢٤.

(٢) نسبة لأحد خدام القصر الصلاحي، وكان من أمراء صلاح الدين الأيوبي، كان قبل بنائه ساحة يباع فيها الرقيق، ثم أشتراه هذا الأمير، وكانت تنزله أعيان التجار الشاميين بتجاراتهم، وكان من أجلّ الخانات وأعظمها، فلما كثرت المحن بخراب بلاد الشام بسبب محنة تيمور لنا، قلّ التجار وقلّت مهابة هذا الخان وزالت حرمته وتهدّمت عدّة أماكن منه، وموضعه الآن في مكان قريب من خان الخليلي. الخطط : جـ١٦٨/٣. عبد الرحمن زكي: القاهرة في ألف عام صـ١٧٨.

(٣) المقريزي: الخطط، جـ ٧٥/٣.

(٤) المقريزي: الخطط، جـ ٣٠٤/٤.

(٥) نوه إليها السخاوي في تحفته، وقال: ثم تمشي في الطريق المسلوك، تجد على يمينك تربة كبيرة، بها السادة الأشراف أولاد ثعلب، وثعلب هذا، هو حصن الدين ثعلب بن يعقوب الجعفري، ينتهى نسبه إلى عبد الله بن جعفر الطيار، كان من أمراء العرب في الدولة المملوكية، شنق في الإسكندرية سنة ٦٦٣ هـ/ ١٢٦٥م، بأمر من الظاهر بيبرس، ومنهم كذلك عدد من السادات الثعالبة، وأصل البناء يعود للأمير فخر العرب ثعلب المتوفى ٦١٣ هـ/ ١٢١٥م، والبناء نفسه تم الفراغ منه في سنة ٦١٢ هـ /١٢١٤م، وبه نصوص كتابية تذكارية بالخط الكوفي ، أشار إليها غير واحد من المهتمين بالحضارة والأثار الإسلامية . النويري: نهاية الأرب، جـ ١٢٦/٣٠. ابن الزيات الكواكب السيارة، مكتبة المثنى، بغداد، صـ٢١٧. تحفة الأحباب، تعليق محمود ربيع، حسن قاسم، مكتبة العلوم والآداب بالقاهرة، طـ١، ١٩٣٧م، صـ ٣٢٦ . أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها، دار المعارف، طـ٢، ٢٠٠٨م، جـ٢/ ٤٣. سعاد ماهر: مساجد مصر، جـ٢/ ١٩٢. حسن قاسم: المزارات، جـ٧/ ٨٨.

الشبيهي[١] وأبو القاسم الطيب وكلثم بنت القاسم الطيب [٢]

صورة لعقد المدفن أو الخانقاة وبعض الزخارف المبقية.

٣ـ قبة يشبك من مهدي (اليشبكية)

١. رقم الأثر (٤)

٢- التاريخ : ٨٨٢هـ/ ١٤٧٧م.[٣]

٣ـ المنشئ: الأمير يشبك من مهدي الدودار

أحد أمراء دولة المماليك الجراكسة بل وإن شئت فقل، أحد اهم الأمراء في عصر دولة قايتباي، أصله من مماليك الظاهر جقمق، ولكن بزغ نجمه وسطع طالعه في عصر الأشرف قايتباي، وقد أظهر يشبك مهارات وقدرات غير عادية، كما أنه كان من المخلصين للأشرف قايتباي، الغير طامعين في كرسي العرش والسلطان، وكان قايتباي يدنيه منه، ويعتز

---

[١]) هذا الأثر يحمل رقم ٢٨٥، (٥١٦هـ/ ١١٢٢م) بالقرافة الصغري، بالقرب من قبة الإمام الشافعي رضي الله عنه، وفي طريق الذاهب، إلى مسجد الليث بن سعد، وينسب إلى أحد آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، يحيي بن القاسم الطيب، بن محمد المأمون، بن جعفر الصادق، بن محمد الباقر، بن علي زين العابدين، بن الحسين بن على رضي الله عن آل بيت رسول الله أجمعين، وقيل: سمى بهذا الاسم لشده الشبه بينه وبين سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قدم مصر في عهد أحمد بن طولون، والمكان به عدد من الأضرحة ينتسبون إليه، وفيه عدد من الكتابات الكوفية، منها البسملة وآية الكرسي وغيرها من النصوص الدعائية والتأسيسية، كما تمتاز القبة من الخارج بتضليعات حجرية رشيقة وجذابة . للمزيد ابن الزيات : الكواكب السيارة، صـ ٩٦. سعاد ماهر: مساجد مصر، جـ٢/ ١٣١. حسن قاسم المزارات، جـ٧/ ٢٠.

[٢]) نسبة للحسيبة النسيبة، كلثم بنت القاسم الطيب، أثر رقم ٥١٦، (٥١٦هـ/١١٢٢م) ويشتمل الأثر على العديد من الكتابات الأثرية والنصوص الدعائية. للمزيد ابن الزيات: الكواكب السيارة، صـ ٩٦. حسن قاسم المزارات، ٢٥.

[٣]) ورد في رحلة الأشرف قايتباي، في حوادث سنة ٨٨٢ هـ / ١٤٧٧م، أنه حضرت إقامة من مقر الأمير يشبك(يقصد القبة) عبارة عن سكر وحلوى وبطيخ صيفي، وماء من ماء النيل، ٠مما يعني أن القبة كانت مستقرة مبنية في تلك السنة. بدر الدين أبو البقاء محمد بن يحيي بن شاكر بن عبد الغني(ابن الجيعان) :القول المستظرف في سفر مولانا الملك الأشرف، (رحلة قايبتاي إلى بلاد الشام) تحقيق عمر عبد السلام تدمري، منشورات جروس برس، صـ٧٦.

بصداقته، ويعتبره الساعد الأيمن له، ودائما ما ينزل في تلك القبة، والتي جعلها بمثابة مستراحا له، ولعل ما يعني الباحث أن الدودار ولى العديد من المناصب من أهمها، منصب الكشوفية، وعلى سبيل التحديد كشوفية الوجه القبلي كله، والتي استطاع أن يفرض شخصية الدولة فيها، وأن يسيطر على الخارجين عن قانون الدولة، ويجبي من الصعيد جبايات لا حصر لها، جعلته الرجل الثاني تقريبا في دولة قايتباي.

ولى العديد من المناصب الكبرى مثل: الدوادارية والاستادارية والوزارة، وحدثته نفسه بحكم العراق بسبب ضعف خلفاء حسن الطويل، ولكن كان كما قيل: على نفسها جنت براقش، فقد أراد أن يحسم الخلاف الطاحن والدائر على الحدود بين الشام والعراق وتركيا، لكن كانت نهايته في تلك الأحداث التي راح ضحيتها وقتل تحت سنابك الخيل وفصلت رأسه في العام ٨٨٥ هـ/ ١٤٨٠م[١]

٤- الوصف

كان يشبك من مهدي محبا للعمارة، والبناء أشرف على العديد من المنشآت في زمن الأشرف قايتباي منها مثلا: المغسل الذى أوجده عند مدرسة السلطان حسن [٢]، وكذا إصلاح الطرق واعادة ترميم العمائر، ومن منشآته كذلك، لما توجه كاشفا على ثغر دمياط، في سنة ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م، جعل بجوار القلعة التي أنشاها الظاهر بيبرس[٣] سلسلة حديدية أو ستار حديدي، مهمته طرد ومنع أي معتد من ناحية البحر، بلغت زنتها ٢٥٠ قنطاراً من الحديد![٤] بجانب اصلاح المساجد والجوامع، [٥] ولعل تلك القبة بالمطرية أو منية مطر[٦] هي أولى منشأته

---

[١]) أنظر محمد بن محمود الحلبي(ابن أجا) ٨٨١هـ/ ١٤٧٦م. : العراك بين المماليك العثمانيين والأتراك، مع رحلة يشبك من مهدي، تحقيق محمد أحمد دهمان، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. ابن اياس: بدائع الزهور، جـ٣/ ١٧١. السخاوي: الضوء اللامع، جـ١٠ /٢٧٢

[٢]) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣/ ١٢٦.

[٣]) يقصد به برج السلسلة وكان برجا عاليا بنى في وسط النيل وفى ناحيتيه سلسلة وسلسلة تمتد احداهما على النيل إلى دمياط، وتمتد الأخرى على النيل إلى الجزيرة يمنعا من عبور المراكب إلى بحر النيل من المالح، ومن الجدير بالذكر أن هذا البرج شهد العديد من الحوادث التاريخية، في سلسلة الصراعات بين الفرنجة والمسلمين في الدولة الأيوبية والدولة المملوكية، كما حبس في هذا الثغر العديد من الخارجين عن الدولة. للمزيد ابن أيبك: كنز الدرر، جـ ١٩٦/٧. المقريزي: الخطط، جـ٣٩٩/١.

[٤]) بدائع الزهور، جـ ١٥٠/٣.

[٥]) بدائع الزهور: جـ١٣٨/٣.

[٦]) قرية قديمة بنواحي مصر، كانت تبعد عن مقر الحكم، قيل: إن بها شجرة مباركة، وبها اغتسل السيد المسيح صلى الله عليه وسلم، اشتهرت بكثرة البساتين والزروع والثمار. الهروي: الإشارات في معرفة الزيارة، صـ٣٨. ياقوت: معجم البلدان، جـ١٤٩/٥.

الشخصية، وقد عرفت المنطقة بعد ذلك بها فصارت يطلق عليها القبة [١]، نظرا لوجود تلك القبة، وقبة أخرى عرفت بالفداوية.

كانت تلك القبة أو هذه المؤسسة كما ذكرت آنفا في الأساس يقصد بها التقرب للسلطان قايتباي، فقد اختار يشبك مكانها بعناية، في مكان تقريبا لا يوجد فيه أحد من البشر، ويعد المحطة الأخيرة من مصر للمتجه نحو الشام، وأقصد بمصر هنا العاصمة، أو مقر الحكم، كما ظلت تلك القبة متنزها ومستراحا في العديد من الفترات التاريخية مثل فترة حكم السلطان الغوري (٩٠٥-٩٢٢هـ/ ١٥٠٠- ١٥١٦م) ففي عيد الأضحى في سنة ٩١٥ هـ/ ١٥٠٩م، نزل ثاني أيام العيد بتلك القبة، وجلس بها، ومد الأسمطه وأمر بالتوسيع على العامة ووزع الأموال والحلوى، وحضر بين يديه أرباب الغناء وغيرهم! [٢]

أصل هذه القبة أو المنشأة مدرسة لها إمام وخطيب، تقام فيها الجمع والجماعات، وأنشأ بجوار تلك المدرسة، ملحقات أخرى دثرت جميعها ولم يتبق سوى القبة، التي أطلقت بعد ذلك على الحي الواقع فيه تلك المؤسسة.

تتكون تلك القبة من منطقة مربعة، تتكون من ١٣م × ١٣م تقريبا أي أن المساحة الكلية للقبة نحو ١٧٠م، يبلغ ارتفاع القبة الكلي نحو ٢٠ مترا، ويوجد بالأسفل دور أرضى كان مستخدما كمخازن، وغير ذلك.

تقع الواجهة الرئيسة للقبة في الضلع الشمالي وترتفع عن سطح الأرض، بنحو ٦م، ويتم الولوج إليها عبر سلم من الرخام، يفضي إلى داخل القبة. يتوسط باب الدخول كتلة المدخل، وهو عبارة عن فتحة مستطيلة، يغلق عليها بمصراعين من الخشب، متوج بعقد مستقيم محمول على حطتين من المقرنصات، يفضي إلى الداخل مباشرة، وعن يمين ويسار المدخل شبابيك مستطيله مغشاة بمصبعات معدنية، يعلوه عقد مستقيم، ثم نفيس مصمت، يعلوه عقد عاتق، ويزين كتلة المدخل من الأعلى شرافات ثلاثية، تشبه العرائس المتماسكة. أما من الداخل فقد حول المعمار القبة الكبيرة، من خلال مثلثات معكوسة، بداخل كل مثلث، مقرنص كبير، يشتمل على فصوص ثلاثة، ومن الجدير بالذكر أن المعمار فتح نوافذ جصية معشقة بالزجاج الملون، في دائر القبة. كما اشتملت القبة على العديد من الكتابات بالخط الكوفي، منها سورة الصمد ومنها: قول الله تعالى: قل اللهم مالك الملك... وغيرها من الآيات، وقد غشيت القبة بالعديد من الزخارف البديعة وزينت من الخارج بآيات من الذكر

---

[١] ذكرها محمد رمزي، وقال بانها كانت تتبع المطرية ثم فصلت عنها بتاريخ ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م، كما أشار لقبة الأمير يشبك من مهدي. القاموس الجغرافي، جـ ١/ ١٤.

[٢] بدائع الزهور: جـ ٤٠/ ١٧١.

الحكيم بالخط الثلث المملوكي، منها قول الله تعالى: في بيوت آذن الله أن ترفع ... [١]

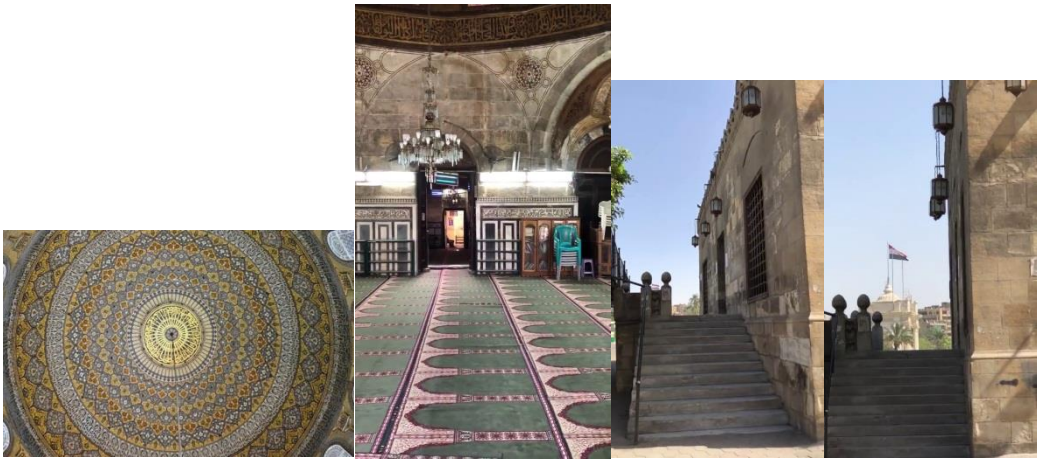

صور متعددة للمنشأة: أولها للسلم الرخامي، الصاعد للمؤسسة، وصورة لكتلة المدخل، وصوره أخرى لشكل المقرنصات الحاملة من القبة من الداخل، وشكل الزخارف في خوذة القبة من الداخل.

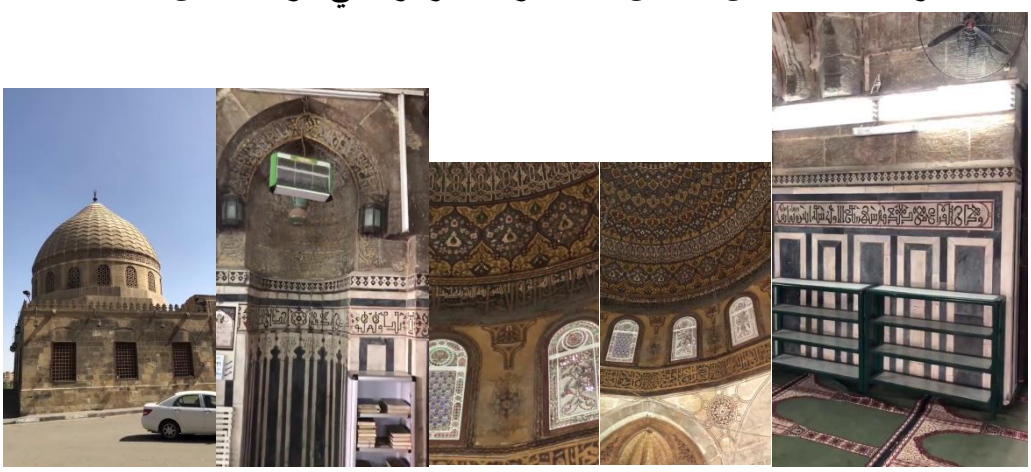

صورة للنص التأسيسي، كتب عليها بالخط الكوفي المجدول والغير منقوط، وكان الفراغ من ذلك في شهر ربيع الأول، سنة أثنين وثمانين وثمانمائة. صورة للكتابات بالقبة من الداخل، صورة للنوافذ والكتابات بالخط الكوفي، صورة للمحراب. صورة للقبة من الخارج.

منظر عام للقبة والمسجد من الخارج.

---

[١]) للمزيد سعاد ماهر: مساجد مصر، جـ ٤/ ٢٤٤. حسن قاسم: المزارات، جـ ١٧٦/٤.

وفي سنة ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م جدد الأمير مصطفى فاضل نجل إبراهيم باشا بن محمد علي قبة يشبك وبنى إلى جانبها مسجدًا ملاصقًا لها من الجهة الجنوبية محل المدرسة التي أقامها يشبك واندثرت وأقام فوقه مئذنة عثمانية [١] .

القبة الفداوية[٢]:

أثر رقم (٥)

التاريخ: ٨٨٤ -٨٨٦هـ / ١٤٧٩- ١٤٨١م.

بنى هذا المكان في مقابر قديمة، كانت تمتد من الحسينية إلى العباسية التى كانت تعرف بالرايدنية حينها، وفي شهر ذي القعدة من السنة المذكورة شرع الأمير يشبك في نقض تلك الترب والمقابر، بغرض تحويلها لبساتين وحدائق غناء، ثم الشروع في بناء قصر أو متنزه على أعظم وأروع ما يكون ويقدمه هديه لسيده الأشرف قايتباي، والذى جاء رنكه واسمه في العديد من الجدران، والعناصر المعمارية للمنشأة [٣] شرع يشبك في غرس الأشجار والثمار، ثم أمر بحفر بئر عظيمة، عليها سواق أربع لرفع الماء وسقي الأشجار، وحوضا، وقبة الغرض منها منظره أو متنزه مثلها مثل القبة الأخرى المشار إليها، وجنوب تلك القبة، تربة أو مدفن أو قبة جنائزية، ورتب بها صوفية وشيخ خانقاة، وسبيل[٤] وتحفل تلك القبة بالعديد من الزخارف، وبها منبر لطيف نقل إليها من جامع كاتم السر [٥]

---

[١]) سعاد ماهر: مساجد مصر، جـ٤/٢٤٣.

[٢]) طائفة اشتهرت في العصر الإسلامي، كانوا يفدون الحاكم بأرواحهم، ويسترخصون حياتهم في سبيل أداء رسالتهم، أهتم بهم المماليك، بدء من الظاهر بيبرس، وحتى العصور المتعاقبة، ولعظيم شأنهم وأثرهم، في الحياة العامة، أنشأ لهم يشبك حاكم القاهرة زمن قايتباي، مساكن عرفت بهم، وأطلقت على الحي كله، ومنه القبة، التي اشتهرت حتى وقتنا الحالي بهذا الاسم. للمزيد عن أصولهم الشيعية وانتشارهم في العالم الإسلامي يرجى مطالعة (أبو شامة) أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى: ٦٦٥ هـ/١٢٦٧م)،الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، المحقق: إبراهيم الزيبق، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت،ط١، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧ م. جـ٤/٢٩٩. النويري: نهاية الأرب، جـ٣٢/٢١٢. رحلة ابن بطوطة، جـ١/ ٢٨٦. سعاد ماهر: مساجد مصر، جـ ٤/٢٦٣.

[٣]) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ٣/١٦٠.

[٤]) السخاوي: الضوء اللامع، جـ١٠/٢٧٤.

[٥]) زكي حسن وآخرون، في مصر الإسلامية، بحث لمحمود أحمد بعنوان العمارة الإسلامية بمصر، صـ ٨٩.

الدراسة الوصفية للمنشأة:

قبة مربعة تقريبا طول ضلعها نحو ١٩م، وتخطيط القبة فريد من نوعه، حيث يتم الصعود إليها عبر سلم رخامي، كما في القبة الأخرى، مما يرجح أن مهندس البناء واحد هنا وهناك، تبدأ بدور أرضي مكون من ثلاث قاعات مستطيله، مغطاه بقبوات، يعلو هذا الدور الأرضي بناء مربع يبلغ طول ضلعه نحو عشرين مترا تقريبا، ثم قام المعمار بعمل مناطق الانتقال للتحول من المربع إلى مثمن من خلال مقرنصات في وضع هرمي، تتدلى منها دلايات غاية في الروعه والاتقان، وتبرهن على مدى تفوق عصر الجراكسة في هذا المضمار، فتح في البدن ١٦ نافذة، وشحنت القبة بكتابات بالخط الثلث المملوكي منها: قول الله تعالى: شهد الله أنه لا إله إلا هو ... وقوله سبحانه: قل اللهم مالك الملك ... مع ذكر أدعية للسلطان قايتباي وذكر اسمه. كما ورد اسم السلطان قايتباي كمنشئ للمكان في إحدى أركانه [١]

من الجدير بالذكر أن الأمير يشبك لم يدفن بتلك المؤسسة ولا مثيلتها بل دفن بتربة أعدها بالقرب من باب النصر كما صرح ابن إياس لما حمل الجسد دون الرأس ودفن في تلك التربة[٢]

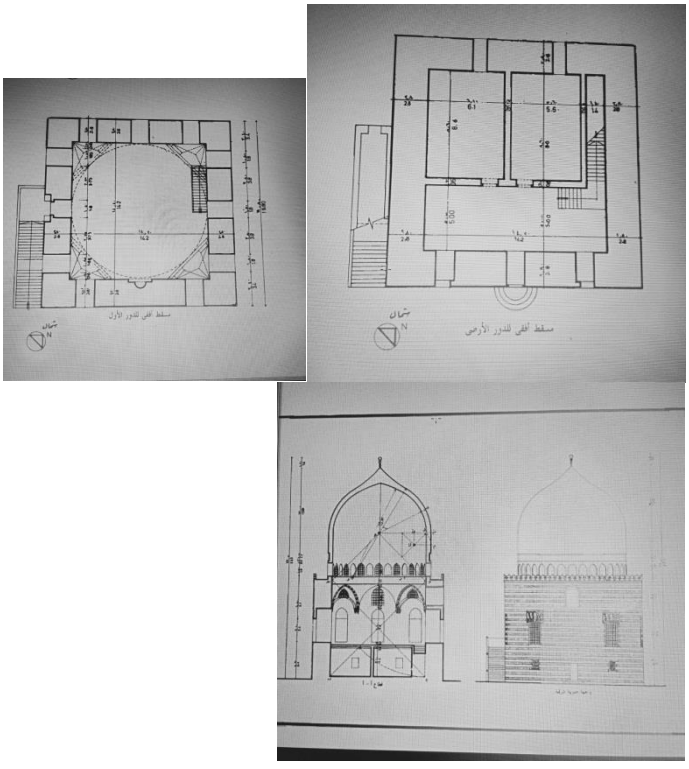

---

[١]) للمزيد يرجي مطالعة سعاد ماهر: مساجد مصر، جـ ٢٦٣/٤. حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، جـ١/ ٢٧٠. اسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية المختلفة بالعاصمة القاهرة، الصادر عن مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، التابع لمنظمة العواصم والمدن الإسلامية، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، جـ٢٣٨/١. وانظر عن أعمال الترميم محاضر لجنة حفظ الأثار العربية على سبيل المثال: محاضر ١٨٩٩ ص ٨٨ ص١٢٢

[٢]) بدائع الزهور، جـ٣/ ١٧٧.

مسقط أفقي للدور الأرضي يلاحظ فيه، الغرف الثلاثة المستطيلة، والملحقات والمثلثات الهرمية اللازمة لعمل منطقة الانتقال للتحول من المربع إلى المثمن. والصورة الثالثة رسم توضيحي للواجهة، وهي قبة مملوكية من الطراز الفريد.

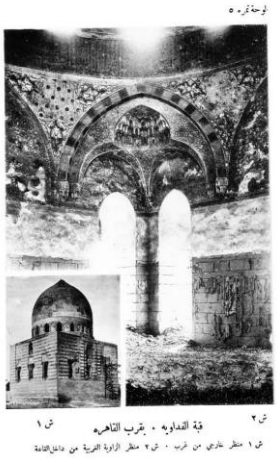

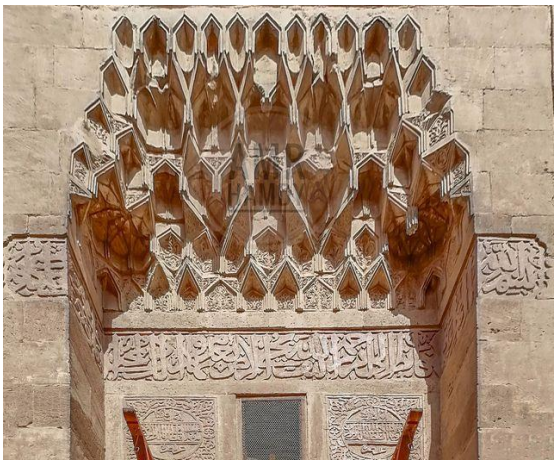

صورة للقبة عن لجنة حفظ الأثار.

وصورة أخرى لقطاع في كتلة المدخل، وهو عبارة عن صفوف من المقرنصات، وبها بالخط الكوفي المملوكي البسملة وجزء من آية من قول الله تعالى: فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ...(الروم جزء من آيه ٥٠) بجانب رنك السلطان قايتباي علي جانبي كتلة المدخل.

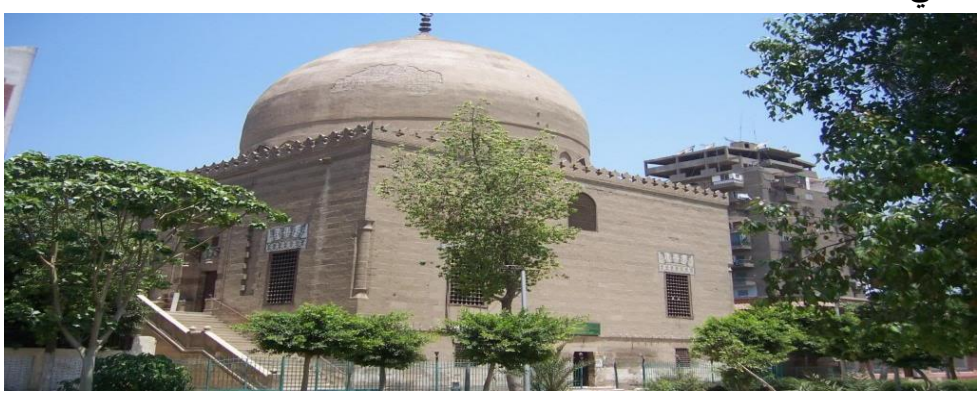

منظر عام للقبة من الخارج، يتضح فيه السلم الرخامي، وشكل الشبابيك من المصبعات المعدنية، المعقودة ببلاطات من الأبلق، معشقة باللونين الأبيض والأسود، وشكل الشرافات، الثلاثية، والأعمدة المدمجة في أركان المنشأة المتخذه للتدعيم.

٤ـ جانم البهلوان ت ٩١٥ هـ /١٥٠٩م .

رقم الأثر: ١٢٩

التاريخ: ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م.

المنشئ: جانم السيفي (جانم البهلوان)

هو من الشخصيات الغامضة، فقد ترجم له السخاوي [١] وقال جانم الأشرفي برسباي، قريب السلطان، تقلب في المناصب وسجن فتره ثم أفرج عنه، ولم يذكر له تاريخ وفاة، والغريب أن السخاوي ذكر ترجمة أخرى لجانم البهلوان وأن تاريخ وفاته، ٨٦٢ هـ / ١٤٥٨م، وهو أمر مستبعد لأن تاريخ الوفاة قبل تاريخ البناء بنحو عشرين سنة! وعليه فالترجمتين مختلفتين،كما أشار على مبارك للمسجد وصاحبه في موضعين مختلفين الأول: يقول فيه عن معرض حديثه عن شارع السروجية: جامع جانم بعطفة المحكمة أنشأه الأمير جانم البهلوان أحد أمراء العشرة، في محل مصلى الأموات، في سنة ٨٨٣ هـ/ ١٤٧٨م، وجعله مدرسة، وجعل به خطبة، وبه قبر عليه قبة مرتفعة، وشعائره مقامة من ريع أوقافه [٢]

وفي الموضع الأخر في ذكر الجوامع يقول: بالسروجية عن يمين الذاهب إلى باب زويلة تجاه باب عطفة جامع قوصون، بحائطه كتابه تدل على أن انشائه كان في سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة، معلق، مفروش بالرخام، وبه قبر منشئه، يرقى إليه بسلالم، ومنشئه كان أحد الدوادارية، كما ولى منصب كشوفية الصعيد [٣]

كما نوه السخاوي في تحفته لهذا المكان [٤] وتاريخ تشييده في سنة ٨٨٣ هـ/١٤٧٨م .، وقال: يعرف الآن بالجانمية.

الدراسة الوصفية:

تتكون العمارة الخارجية لتلك المؤسسة من واجهتين، واحدة هي الرئيسة، تطل على السروجية وتنقسم إلى قسمين يرتد احداهما عن الأخر قليلا، وفتحة الدخول عبارة، عن دخله مستطيلة غائرة، يتقدمها مكسلتين من الحجر، وتفتح من خلال مصراعين من الخشب كان يزين قديما باترجة نحاسية، نزعت منه الآن واصبح بلا زخارف، يعلو فتحة الدخول عتب مستقيم، عليه زخارف نباتية منقوشة بطريقة الحفر البارز، عبارة عن ورقة نباتية ثلاثية، وهو عنصر زخرفي تكرر في كل مفردات المؤسسة، يعلو هذا العتب نفيس يعلوه عقد عاتق مكون من صنجات حجرية معشقة باللونين الأبيض والأسود، يعلوه نافذة من المصبعات المعدنية، ويزين كتلة الدخول، عقد مدائني مقرنص، ويعلو حجر المدخل، جفت ميمي لاعب، يعلوه نص كتابي بالخط الثلث المملوكي، بسم الله الرحمن الرحيم" فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ النور ٣٦

ومن الصور القديمة للمنشأة والتي يظهر فيها وجود دخلتان، ذواتا صدر مقرنص الدخلة

---

[١]) الضوء اللامع، جـ٣/٦٣.

[٢]) الخطط التوفيقية: جـ٢/٣٨.

[٣]) الخطط التوفيقية: جـ ٤/٧٣.

[٤]) تحفة الأحباب: صـ ١٠٧

الأولى بجوار حجر المدخل تبدأ الدخلة بشطف حجري من الأسفل، يعلو هذا الشطف بلاطات من الأبلق ثم ثلاثة شبابيك مستطيلة في الدخلة الأولى المجاورة لحجر المدخل، عبارة عن مصبعات معدنية، متماثله، يعلو كل فتحه عقد مستقيم، ثم نفيس يعلوه عقد عاتق، وفي الدخلة الأولى ثلاثة نوافذ مستطيلة، أما الدخلة الثانية فعبارة عن شباكين فقط، ويعلو كل شباك قنديلية، ويزين كتلة كل دخلة مجموعة من المقرنصات، كما يزين جدار المدخل كله عدد من الشرافات الخماسية التي اشتهر بها العصر المملوكي. وقد اشتمل هذا الجدار على نص كتابي من كتاب الله بخط الثلث: إن في خلق السموات والأرض ....

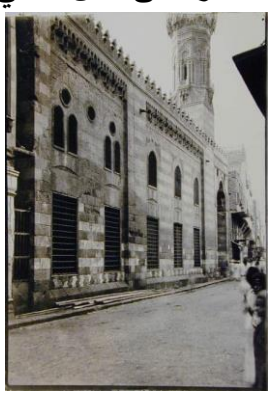

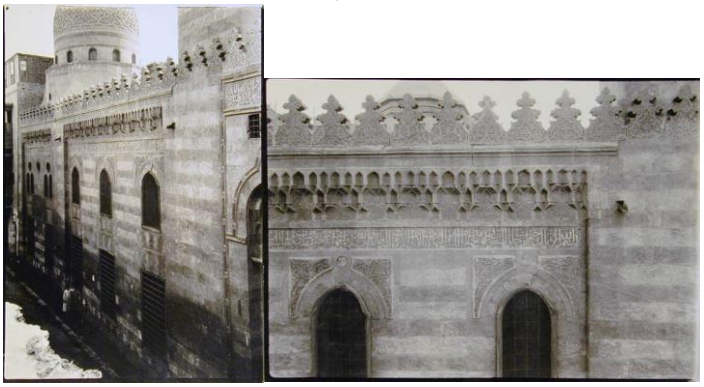

صور قديمة للأثر موضح فيها كتلة المدخل والجدار المطل على شارع السروجية، والدخلات المقرنصة، والشرافات الخماسية والنص الكتابي أعلى جدار المدخل مع القبة من الخارج.

المئذنة: واحدة من أجمل المآذن بالعصر المملوكي، تبدأ ببدن مربع، ثم شطف أو مثلثات معكوسة أو هرم مقلوب لعمل منطقة الانتقال من المربع إلى المثمن، وقد زين المعمار هذا الهرم المقلوب بزخارف فريدة من نوعها، يلى هذا الشطف القسم الثاني المثمن من المئذنة، وقد جعله المهندس المعماري للمسجد في غاية الروعة والجمال، فقد جاء هذا الجزء في تناغم ما بين فتحات معقودة بعقود مدببة، ملئت طاقية العقد بزخارف مشعه، وارتكز كل عقد منها على ثلاثة أعمدة مدمجة، تيجانها ناقوسية الشكل، وحليت العقود من أعلى بميمات لاعبة، وحرص المعمار على ايجاد عنصر التناغم والتماثل حيث جعل في بدن تلك الدوره أربعة نوافذ تقابلها اربعة مضاهيات بواقع نافذة ومضاهية، ثم زين هذا كله بشريط من الخط الثلث المملوكي بآيات من الذكر الحكيم من قوله تعالى: إن في خلق السموات والأرض .... يلى هذا شرفة حجرية مثمنة محمولة صفوف من المقرنصات، ومزدانة بدربزين رخامي، نقشت في جوانبه زخارف نباتية مفرغه، وزخارف هندسيه، يليها الجزء الاسطواني للمئذنة مزدان بورقة نباتيه ثلاثية مكررة ومنفذة بطريقة الحفر البارز، يعلوها الشرفة الثانية وهي تماثل الأسفل منها تماما. ثم الشرفة الثالثة والمحمولة بدورها على ثلاثة أعمدة من الرخام مثمنة الشكل، ناقوسية التاج، ولكن تختلف تلك الشرفة بكونها دائرية الشكل ثم تزدان المئذنة من الأعلى بقمة بصلية، أو كمثرية ويعلو ذلك هلال المئذنة.

أكثر من صورة للمئذنة يتضح فيها تفاصيلها الفنية والزخرفية المشار إليها.[١]

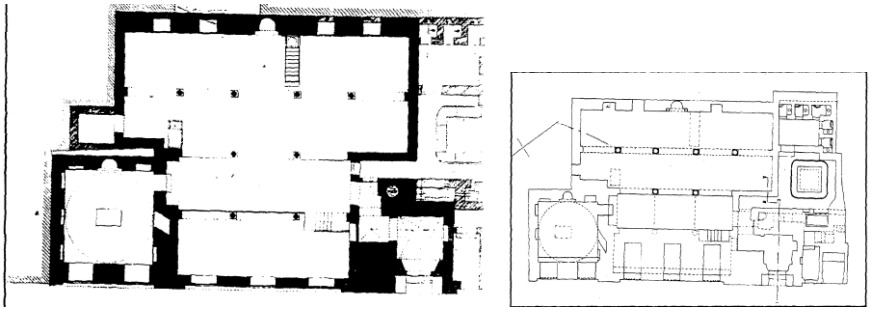

مسقط أفقي نقلا عن عاصم رزق.

والحق أن هناك العديد من المنشآت التي أسهم فيها عدد من الكشاف، مثل مدرسة جمال الدين الاستادار، كانت في مكان عرف قديما برحبة باب العيد، وهي الآن في حارة التمبكشية المتفرعة من شارع الجمالية،كان موضعها قديما قيسارية يعلوها طباق كلها وقف، فأخذها وهدمها، وكان الفراغ منها في ٨١١هـ / ١٤٠٨م، وقد اشتملت تلك المدرسة على العديد من النفائس والذخائر منها: مصاحف ومؤلفات في الحديث والفقه وغيره من أنواع العلوم، ومصحف بخط ياقوت، وآخر بخط ابن البواب وجعلها لتدريس المذاهب الأربعة بجانب الحديث وعلوم الشريعة [٢]، وقد شهدت تلك المدرسة ميلاد العديد من نجوم الفكر والثقافة في عقود عده، من الذين تولوا فيها منصب التدريس، همّام بن أحمد الخوارزميّ همام الدين الشافعيّ العلامة مات بالطاعون في سنة ٨١٩هـ/ ١٤١٦م[٣] وغيره من العلماء والمفكرين الذين لا يتسع المجال لذكرهم، هناك كذلك مدرسة الفخري، أو جامع البنات، الذى أنشاه الأمير فخر الدين عبد الغني بن عبد الرازق، (٨٢١هـ/ ١٤١٨م) وجعله مدرسة لتعليم الفقه

---

[١] اكتفى الباحث بوصف المدرسة من الخارج، ومن أراد الاستزادة عاصم رزق: أطلس العمارة الإسلامية،مكتبة مدبولي، ط١، ٢٠٠٣م، جـ٢/ ١٢٣٩.

[٢] المقريزي: الخطط، جـ ٤/٢٦١.

[٣] الداوودي: طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية بيروت، جـ٢/٣٥٤

والحديث وألح به سبيلا ومكتبا لتعليم أيتام المسلمين ولا يزال المسجد إلى الآن بالدرب الأحمر وتحديدا شارع بورسعيد [1] الأمير تمراز الأحمدي وغيره وكذا كان لبعض منهم عظيم الأثر في إثراء الحياة الفكرية، من خلال احتضان العلماء والمفكرين، وإنشاء المؤسسات العلمية والتعليمة، ووقف الأوقاف عليها، سواء أكانت مدارس أم خوانك، أو حتى مكتبات وكتب، ولعل هذا يبرهن بما لا يدع مجالا للشك ان الكشوفية كانت واحدة من المناصب والوظائف الحساسة في الدولة المملوكية.

واجهات جامع البنات والجمالية وتمراز الأحمدي.

[1]) حسن قاسم المزارت الإسلامية جـ ٥٥/٤. زاهي حواس: مدرسة الأمير عبد الغني الفخري، مراجعة آمال العمري، أحمد الزيات، المجلس الأعلى للأثار.

الخاتمة ❁

الحمد لله والصلاة والسلام على رسل الله وبعد؛؛

فهذا البحث طوف فيه الباحث حول وظيفة ومهنة من مهن العصر المملوكي، الا وهي مهنة الكشفية، وقد تبين من خلال الدراسة أن الكشفية من الوظائف ذات الطابع الخاص، في عصر دولة المماليك، بداية من كون تلك الوظيفة تحتاج لمهارات خاصة، وشروط فيمن يتصدى لها، مثل: القوة وشدة البأس، والعلم بالحساب، والخبرة بطبيعة البشر والأرض، وكان صاحب تلك الوظيفة في الغالب من الأمراء ذوى الجاه والسلطان، ولا بد أن يكون من أمراء المائة، أو الطبلخانات، وكانت تتبع الكشوفية للاستادار على اعتبار، أنه نائب السلطان في تلك الأمور والمهمات، وقد تبين أن الكشوفيات كانت عبارة عن أقاليم تشبة المحافظات الآن، تغيرت مسمياتها وحدودها من عصر لأخر، بحسب مقتضيات وظروف كل عصر، عرفت أحيانا بالولايات وأحايين كثيرة بالكشوفيات.

وكان الكاشف أو الوالي، هو نائب السلطان، على تلك الكشوفية، من حيث تبليغ أوامر السلطان، ورعاية الجسور، وكشف التراب، ومراعاة الدواليب السلطانية، وجباية الأموال من الضرائب والزكوات، والخمس وغيرها، ومحاربة الخارجين أو المتمردين من العربان وغيرهم!

ولذلك وجدنا أن هناك كشوفات بعينها تحتاج لشدة وبأس أكثر من مثيلاتها، مثل كشوفية البحيرة أو الشرقية أو البهنسا أو القوصية أو غيرها من تلك الكشوفيات الحدودية أو الثغور، والتي تبعد عن مقر الحكم كثيرًا، وتنتشر فيها قبائل العربان والمتمردين والثائرين، وقد رأينا كيف أنتهى الحال بالعديد من الكشاف إلى القتل والتشريد.

والجدير بالذكر أن هناك بعض الكشوفيات والأقاليم كان لها طابع خاص لقربها من الحدود، كالبحيرة واتصالها بالصحراء الغربية، والشرقية واتصالها ببلاد الشام، أو الصعيد، هذا الأمر الذى أدى إلى استقرار بعض المتمردين ونشوء بعض حركات التمرد بها، وثورات العربان والخارجين على الدولة، ومن ثم فقد استدعى الأمر وجود كشاف ذوى مهابة في تلك المناطق على وجه الخصوص!

كذلك طوف الباحث حول معاوني الكشاف، ثم تطرق البحث للحديث عن بعض الكشاف في العصرين المملوكي البحري والجركسي، أمثال: سنجر الخازن، والأمير قدادار، ويشبك من مهدي وغيرهم، وختم الباحث بحثه بالإشارة إلى بعض المشروعات الحضارية التي أقامها الكشاف.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل متقبلا خالصا لوجه الكريم.

المـلاحق.

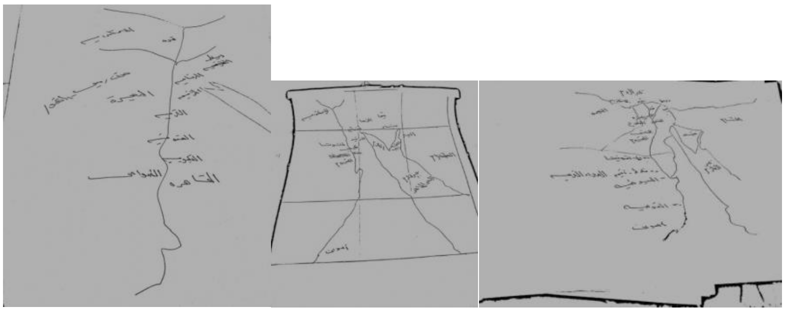

ثلاثة خرائط من عمل البحث تبين موضع الكشوفيات القديمة. والرابعة لبيان أثر النيل على الكشوفيات والأقاليم.

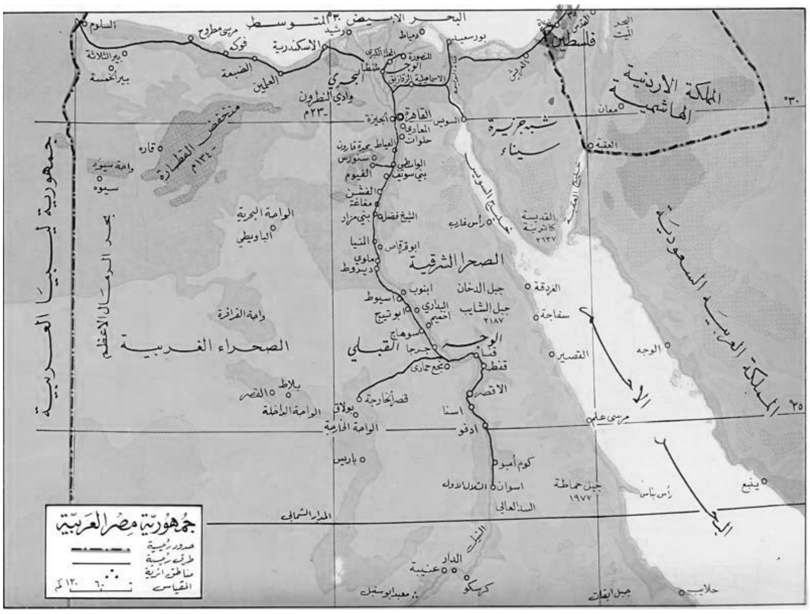

خريطة أخرى حديثة تبين جغرافية مصر وتغير مسميات بعض تلك الكشوفيات مثل القوصية والتي كانت تشمل من أسوان وحتى قنا

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: القران الكريم.

ثانيا المصادر.

١. (ابن الأثير): أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م): الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م

٢-(ابن أجا) محمد بن محمود الحلبي٨٨١هـ/ ١٤٧٦م. : العراك بين المماليك العثمانيين والأتراك، مع رحلة يشبك من مهدي، تحقيق محمد أحمد دهمان، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٣- الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، المعروف بالشريف الادريسي (المتوفى: ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ.

٤- (ابن الأنباري): محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ/ ٩٤٠م): الزاهر في معاني كلمات الناس، المحقق- حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢.

٥- (ابن ايبك) أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري ت (بعد ٧٣٦ هـ / ١٤٣٢ م ، كنز الدرر وجامع الغرر ، مجموعة من المحققين ، الناشر: عيسى البابي الحلبي ، ١٩٨١م

٦- (ابن إياس)، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (٩٣٠هـ/ ١٥٢٢م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، فرانز شتاينر، ڤيسبادن، ١٩٧٥م، وطبعة دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

٧- (ابن بطوطه): محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، أبو عبد الله، ابن بطوطة (المتوفى: ٧٧٩هـ / ١٣٣٧٧م) رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) الناشر: دار الشرق العربي.

٨- (ابن تغري بردي)، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد محمد أمين، تقديم- سعيد عبد الفتاح عاشور، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٩- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تعليق محمد رمزي، طبعة دار الكتب المصرية، ط١

حوادث الدهور، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

١٠- أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي (المتوفى: ٦٥١هـ): سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، هذبهُ: محمد بن جلال الدين المكرم (ابن منظور) (المتوفى: ٧١١ هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت-لبنان، الطبعة: ١، ١٩٨٠م.

١١- (مجد ابن تيميه) عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد، ابن تيمية الحراني، أبو البركات، مجد الدين (المتوفى: ٦٥٢هـ/١٢٥٤م): المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، الناشر: مكتبة المعارف- الرياض، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ -١٩٨٤مـ.

١٢-(ابن الجوزي) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م): المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

١٣- تقويم اللسان، المحقق: د. عبد العزيز مطر، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٦ م، الناشر: دار المعارف.

١٤ - (سبط ابن الجوزي) : شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله المعروف بـ «سبط ابن الجوزي» (٦٥٤ هـ/ ١٢٥٦مـ): مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ، تحقيق وتعليق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الرسالة العالمية، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.

١٥- (ابن الجيعان) شرف الدين يحيى ابن المقر ابن الجيعان(٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م): التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٧٤م.

١٦- :القول المستظرف في سفر مولانا الملك الأشرف، (رحلة قايبتاي إلى بلاد الشام) تحقيق عمر عبد السلام تدمري، منشورات جروس برس.

١٧- (ابن حجر)، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م): إنباء الغمر بأبناء العمر، المحقق: د حسن حبشي، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، عام النشر:١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م.

١٨- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر اباد/ الهند، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

١٩- (ابن حجي): شهاب الدين أبو العباس أحمد بن حجي السعدي الحسباني الدمشقي (٨١٦ هـ/ ١٤١٣م): تاريخ ابن حجي «حوادث ووفيات: ٧٩٦ هـ - ٨١٥ هـ»،تعليق : أبو يحيى عبد الله الكندري، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢٠- (ابن خلكان)، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر بيروت.

٢١- (الداوودي) محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م): طبقات المفسرين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٢- (الرازي) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩مـ): مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت،الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

٢٣- الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ/١٧٩١م): تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية

٢٤- (ابن الزيات): شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ناصر الدين الأنصاري (٨١٤هـ/١٤١١م): الكواكب السيارة في ترتيب الزيارة، مكتبة المثنى، بغداد.

٢٥-(السيوطي)، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى : ٩١١هـ/١٥٠٥م): حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر : دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، الطبعة : الأولى ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧ م.

٢٦- (السبكي) تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١ هـ/١٣٦٩م): معيد النعم ومبيد النقم، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م.

٢٧-(ابن سيده) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م]: المحكم والمحيط الأعظم، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م

٢٨- (نور الدين السخاوي). علي بن أحمد بن عمر بن خلف بن محمود، أبو الحسن نور الدين السخاوي بعد ٨٨٩هـ / ١٤٨٤م: تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات، تعليق محمود ربيع، حسن قاسم، مكتبة العلوم والآداب بالقاهرة، ط١، ١٩٣٧م

٢٩- (السخاوي)، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.

٣٠- (ابن شاهين)، زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء غرس الدين خليل بن شاهين الظاهريّ الملطيّ ثم القاهري الحنفيّ (المتوفى: ٩٢٠هـ/١٥١٧م): نيل الأمل في ذيل الدول، المحقق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

٣١. الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا بيروت.

٣٢- (أبو شامة) أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى: ٦٦٥ هـ/ ١٢٦٧م)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، المحقق: إبراهيم الزيبق، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٧ م.

٣٣- (بن شاكر)محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (المتوفى: ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م): فوات الوفيات، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى- ١٩٧٤م.

٣٤. (الإصطخري): أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، المعروف بالكرخي (المتوفى: ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م): المسالك والممالك، الناشر: الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.

٣٥- (الصفدي)، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ/١٣٤٥م): أعيان العصر وأعوان النصر،المحقق: علي أبو زيد، واخرون، الناشر: دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، دار الفكر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

٣٦- الوافي بالوفيات، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر:١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٣٧-(ابن الصيرفي) على بن دواد (٩٠٠هـ/ ١١٥٠م): نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشي، دار الكتب، ١٩٧٠م.

٣٨- (الصابئ) ـ هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابئ الحراني، أبو الحسين، أو أبو الحسن (المتوفى: ٤٤٨هـ/١٠٥٦م): رسوم دار الخلافة، المحقق: ميخائيل عواد،الناشر: دار الرائد العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٨٦م

٤٠- (العسكري): أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ/١٠٠٥م): معجم الفروق اللغوية، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران،الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ .

٤١- (العباسي الصفدي) الحسَن بن أبي محمّد عبد الله بن عمر بن محاسن بن عبد الكريم الهَاشِمِي العبّاسي الصَّفَدِي (المتوفى: بعد ٧١٧ هـ/١٣١٧م): نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك «يؤرخ من عصر الفراعنة والأنبياء حتى سنة ٧١٧ هـ»، المحقق: عمر عبد السلام تدمري، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

٤٢-(ابن عبد الظاهر)، أبو الفضل عبد الله، الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، (٦٩٢- ١٢٩٤م) تحقيق أيمن فؤاد السيد، القاهرة: الدار العربية للكتاب، ١٩٩٦.

٤٣- (ابن العديم)، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (المتوفى: ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م): بغية الطلب في تاريخ حلب، المحقق: سهيل زكار، الناشر: دار الفكر.

٤٤- (القاضي عياض): : عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م): مشارق الأنوار على صحاح الآثار، دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث.

٤٥- ابن الفقيه): أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه (ت ٣٦٥/٩٧٦م): البلدان، المحقق: يوسف الهادي، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

٤٦- (ابن فضل الله العمري) أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (المتوفى: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، الناشر: المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

٤٧- التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق، محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٤٨- (ابن فارس)أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م): مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٩-(أبو الفداء) عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (المتوفى: ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م): المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، ط١

٥٠-(الفيروز آبادي): مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ/١٤١٤م)، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

٥١-(الفتني):محمد طاهر الصديقي الفتني(٩٨٦هـ/١٥٧٨م): مجمع بحار الأنوار في غريب التنزيل ولطائف الأخبار، وتكملة مجمع بحار الأنوار، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد – الهند، سنة النشر: ١٣٨٧ – ١٩٦٧م

٥٢- (أبو الفرج) قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (المتوفى: ٣٣٧هـ/٩٤٨م): الخراج وصناعة الكتابة، الناشر: دار الرشيد للنشر، بغداد، الطبعة: الأولى، ١٩٨١ م

٥٣- (القلقشندي): أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري(المتوفى:٨٢١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت

٥٤-(ابن القلانسي) حمزة بن أسد بن علي بن محمد، أبو يعلى التميمي، المعروف بابن القلانسي (المتوفى : ٥٥٥هـ/١١٦٠م)،المحقق : سهيل زكار، تاريخ دمشق، الناشر : دار حسان للطباعة والنشر – دمشق، الطبعة : الأولى ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م.

٥٥- (ابن قتيبة) محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ/٨٨٩م): الجراثيم، حققه: محمد جاسم الحميدي، تقديم، مسعود بوبو، الناشر: وزارة الثقافة، دمشق.

٥٦- (ابن كثير): أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م): البداية النهاية، الناشر، دار الفكر،عام النشر: ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م

٥٧-(المقريزي)، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ/١٤٤١م): السلوك لمعرفة دول الملوك، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

٥٨- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار (الخطط المقريزية)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ

٥٩ـ المقفي الكبير، المحقق: محمد اليعلاوي، الناشر: دار الغرب الاسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م

٦٠-البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، المحقق: فردناد واسطون فيلد Ferdinand Wüstenfeld (مستشرق ألماني)، طبعة: جوتنجن، ألمانيا عام ١٨٤٧ م ر: دار الفكر، عام النشر: ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م.

٦١- (ابن المنجم) إسحاق بن الحسين المنجم (المتوفى: ق ٤هـ): آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، الناشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ

٦٢-(ابن مماتى) أسعد بن مهذب (الملقب بالخطير أبي سعيد) بن مينا بن زكريا، ابن مماتي : (٦٠٦ هـ / ١٢٠٩م) قوانين ٠الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطيه، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م

٦٣-(ابن ماكولا) سعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا (المتوفى: ٤٧٥هـ/١٠٨٢م) الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٦٤- (ابن منجب)علي بن منجب بن سليمان(٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) قانون الرسائل، تعليق علي بهجت، مطبعة الواعظ، ط١، ١٩٠٥م

٦٤-(ابن منظور) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ/ ١٣١١م): لسان العرب، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ

٦٥- (المقدسي) أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري ت ٣٨٠ هـ/ ٩٩٠م، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١١/١٩٩١.م

٦٦- ابن المبرد، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي الدمشقي الصالحي المعروف بـ «ابن المبرد» (المتوفى: ٩٠٩ هـ/١٥٠٣م): الدر النقي في شرح ألفاظ الخرقي، المحقق: رضوان مختار بن غربية، الناشر: دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م

٦٧-(النويري)أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م): نهاية الارب في فنون الأدب، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.

٦٨-(النعيمي) عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (المتوفى: ٩٢٧هـ/١٥٢١م): الدارس في تاريخ المدارس، المحقق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

٦٩-(نشوان الحميري) نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ/١١٧٧م): شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، المحقق: حسين بن عبد الله العمري وآخرون، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)،الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

٧٠-(الهروي) محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ/٩٨٠م): تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٧١-(ابن الوردي): عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي (المتوفى: ٧٤٩هـ): تاريخ ابن الوردي، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

٧٢-(ابن واصل) محمَّد بن سالم بن نصرالله بن سالم ابن واصل، أبو عبد الله المازني التميمي الحموي، جمال الدين (المتوفى: ٦٩٧هـ/١٢٩٨م): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، مجموعة من المحققين، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية – المطبعة الأميرية، القاهرة – جمهورية مصر العربية، عام النشر: ١٣٧٧ هـ – ١٩٥٧ م.

٧٣- (الواقدي)محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ/٨٢٢م): فتوح الشام، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م

٧٤- ٤٥-(اليعقوبي)أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (المتوفى: بعد ٢٩٢هـ/٩٠٥م): البلدان، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ

٧٥-(اليافعي): أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (المتوفى: ٧٦٨هـ/١٣٦٧م) : مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

٧٦-(ياقوت الحموي) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ/١٢٢٩م)- معجم البلدان، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م.

٧٧- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م

٧٨- (اليوسفي) : موسى بن محمد بن يحيى اليوسفي، عماد الدين، ت (٧٥٩هـ- ١٣٥٨م) نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، تحقيق: أحمد حطيط، عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

المراجع.

١. أحمد فكري: مساجد القاهرة ومدارسها، دار المعارف، ط٢، ٢٠٠٨م.

٢- أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور (المتوفى: ١٣٤٨ هـ): معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية، المحقق: ٣-حسين نصّار، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة – مصر، الطبعة: الثانية، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م.

٤- أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م.

٥-اسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية المختلفة بالعاصمة القاهرة، الصادر عن مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، التابع لمنظمة العواصم والمدن الإسلامية، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٦- حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية التي صلى فيها فريضة الجمعة حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح فاروق الأول، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٤م
٧- حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة العربية، ١٩٦٦م.
٨- حسن قاسم: المزارات الإسلامية والآثار العربية في مصر والقاهرة المعزية، مجموعة من المحققين، مكتبة الإسكندرية ٢٠١٧م .
٩- رجب عبد الجواد إبراهيم:المعجم العربي لأسماء الملابس «في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث»، تقديم: محمود فهمي حجازي، الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة – جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.
١٠- زكي حسن وآخرون ، في مصر الإسلامية، مطبعة المقتطف والمقطم، ١٩٣٧م.
١١-(الزركلي) خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ/١٩٥٠م): الأعلام، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
١٢-سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
١٣-عاصم محمد رزق: معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، ط ١، ٢٠٠٠م، القاهرة .
١٤- أطلس العمارة الإسلامية والقبطية بالقاهرة، مكتبة مدبولي، ط١، ٢٠٠٣م
١٥- عبد الرحمن زكي، موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام، القاهرة: مكتب الأنجلو المصرية، ١٩٨٧.
١٦- علي مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القديمة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، ط١، المطابع الأميرية، ١٣٠٦هـ/،١٨٨٩م.
١٧- قاسم عبده قاسم: فتوح البهنسا الغراء، تحقيق عمرو منير، وزراة الثقافة المصرية، ط١، ٢٠١٢م
١٨-محمد أحمد الدهمان : معجم الألفاظ التاريخية، دار الفكر بيروت
١٩-محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.
٢٠- محمد كمال السيد: أسماء ومسميات من مصر القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.
٢١- محمد الششتاوي، متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني، القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٩٩٩، ط١.
٢٢-محمد رجب النجار: الشطار والعيارين حكايات في التراث العربي، عالم المعرفة، ١٩٨١م.

مراجع أجنبية.

١- رينهارت بيتر آن دُوزِي (المتوفى: ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م): تكملة المعاجم العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي، جمال الخياط، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى، من ١٩٧٩ - ٢٠٠٠ م.

٢. ماير: الملابس المملوكية، ترجمة صالح الشيتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م.

. الفاروقي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ / ١٧٤٥م): كشاف اصطلاح الفنون والعلوم، ترجمة عبد الله الخالدي، جورج زيناني، تحقيق علي دحروج، تقديم رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٩٩٦م

٣- فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسيلي، منشورات الجامعة الأردنية

٤- م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان: موجز دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة وتحقيق: إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي، عبد الحميد يونس، وآخرون، لمراجعة والإشراف العلمي د. حسن حبشي، وآخرون، الناشر: مركز الشارقة للإبداع الفكري، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

الرسائل العلمية:

محمد سالم، الهجرات المشرقية إلى مصر وأثرها في الحياة الفنية إبان العصر المملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، بجامعة الأزهر فرع المنصورة، ٢٠١٨م.

الدوريات.

١- . زاهي حواس: مدرسة الأمير عبد الغني الفخري، مراجعة آمال العمري، أحمد الزيات، المجلس الأعلى للأثار

٢- زينب أحمد علي: ملك الأمراء، سيف الدين تنكز نائب الشام، (٧١٢-٧٤١/١٣١٢-١٣٤٠م) كلية الآداب جامعة القاهرة، العدد٢٣، ٢٠١٥م، صـ١٣.

٣- عثمان إسماعيل الطل، شوكت رمضان حجه: حجة وقف الإمير سيف الدين تنكز (المدرسة التنكزية) (٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م)الجامعة الإسلامية بغزة، يونيو ٢٠١١م .

٤-شيرين عبد الحليم القباني وآخرون: العناية بالخيل في مصر المملوكية (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م) المجلة العلمية لكلية السياحة والفنادق، العدد الثالث عشر، ٢٠١٦م

٥-كريم محمد حمزه: مدرسة وخانقاة مغلطاي بحي الجمالية، دراسة أثرية تاريخية حضارية، مجلة اتحاد الجامعات العربية للسياحة والضيافة، مج ١١، العدد الأول، يونيو ٢٠١٤م

٦. محمد محمود الجبارات، وقفية منجك باشا(٧٨٤هـ/١٣٨٢م) المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، العدد الأول، ٢٠٠٩م .

٧- مسعد سيد الكتبي: الأمير المملوكي يلبغا السالمي: حياته وجهوده ت ٨١١ هـ ١٤٠٨م، مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة جامعة الأزهر، ع ٣٥، ٢٠١٦م.

٨- لجنة حفظ الأثار العربية القديمة طبعة ديوان عموم الأوقاف المصرية،٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م.